

سيرة الخوارج

تأليف أبي عبد الله

فيصل بن عميرة وأبي الحسن

حفظه الله



دار الأمان
الإسكندرية

دار القسمة
الإسكندرية



المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسلين، وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

فهذه خواطرٌ تواردتُ على الخاطرِ؛ نتيجةً موقفٍ من مواقف الحياة، وعثرَةٍ
من عثراتِ الطريق، كُنْتُ أُقِيدُهَا فِي جَوَالِي، ثُمَّ أَرْسَلُهَا لِلأَهْلِ وَالأَصْحَابِ، فَمِنْ
مُسْتَحْسِنٍ لَهَا وَمِنْ مُعْجَبٍ مِنْهَا، وَمِنْ حَاطٍ عَلَى جَمْعِهَا، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى قَوْلِي لِكُلِّ
حَاطٍ: أَبَشِّرْ، وَهَا أَنَا أُوْفِي بِمَا وَعَدْتُ، وَ(وَعَدُّ الحُرِّ فِعْلٌ، وَوَعَدُ اللَّيْمِ تَسْوِيفٌ).

وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلًا (١)

وَلَنْ يَعْدِمَ أَحَدٌ كِبُوَّةً، كَمَا (لَنْ تَعْدِمَ الحَسَنَاءُ ذَمًّا).

وَلَنْ تُصَادِفَ مَرَعَى مُمَرَّعًا أَبَدًا إِلَّا وَجَدْتَ بِهِ آثَارَ مَأْكُولٍ

جَرَى القَلَمُ بِمَا تَقَدَّمَ

وَكَتَبَهُ

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فَيصَلُّ الحَاشِدِيُّ

مَكَّةَ ١٤٤٢ / ٤ / ٢٦

* * *

(١) (فِعْلٌ) جَاءَتْ مَرْفُوعَةً لِأَنَّهَا فَاعِلٌ لِكَانَ التَّامَةِ، وَلَيْسَتْ خَبْرًا كَمَا قَدْ يَتَوَهَّمُ القَارِئُ الكَرِيمُ.

التَّوْحِيدُ سَبَبُ الْأَمْنِ

الْأَمْنُ يُعْرَفُ بِأَنَّهُ نَقِيضُ الْخَوْفِ مَعَ غَضَارَةِ الْعَيْشِ، فَهُوَ مِنْ خَيْرِ نِعَمِ الدُّنْيَا، فَلَا لَذَّةَ بَعْدَ لَذَّةِ التَّوْحِيدِ أَلَدُّ مِنْهُ، وَبِهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ فَيَقَالُ: «أَلَدُّ مِنَ الْأَمْنِ»؛ لِأَنَّهُ لَا انْتِفَاعَ لِحَائِفِ بَصِحَّةٍ، وَلَا شَبَابٍ، وَلَا مَالٍ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ، مَعَاظًا فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حَيَّرَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَا فَيَرُهَا»^(١).

وَمَهْمَا عَمِلْتَ الدُّوْلَ، وَتَفَنَّنْتَ فِي حِفْظِ أَمْنِهَا، فَلَنْ يَتَحَقَّقَ الْأَمْنُ التَّامُّ وَالْإِهْتِدَاءُ إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَلْبَسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَرِكٍ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٢) أَي: لَمْ يَخْلُطُوهُ بِشَرِكٍ.

وَحَيْثَمَا تَجِدُ التَّوْحِيدَ فِي بَلَدٍ تَجِدُ الْأَمْنَ فَمُسْتَقِيلٌ وَمُسْتَكْتَرٌ.

مَهْمَا امْتَلَكْتَ مِنَ الْكَنْوَزِ نَفَائِسًا وَنَعِمْتَ بَيْنَ خَرَائِدٍ وَعَبِيدِ
وَسَكَنْتَ قَصْرًا شَامَخًا بُيَانُهُ مِنْ حُرِّ مَالِكٍ طَارِفٍ وَتَلِيدِ
وَرَجَوْتَ أَمْنَكَ بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ تَنْلِ أَمْنًا؛ فَإِنَّ الْأَمْنَ فِي التَّوْحِيدِ^(٢)

* * *

(١) الْآحَادُ وَالْمَثَانِي، (٢١٢٦)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٦٠٤٢).

(٢) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا -حَفِظَهُ اللَّهُ- هُوَ أُسْتَاذُنَا عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَقَادُ، أَحَدَ الَّذِينَ أَخَذْتُ عَنْهُمْ اللَّغَةَ وَالْأَدَبَ، وَحَيْثَمَا ذَكَرْتُ أُسْتَاذُنَا فَهُوَ الْمَقْصُودُ.



يا طالبَ العِلْمِ، من الطبعيِّ أن يزهدَ فيكَ أهلكَ وجيرانكُ، فلا تَبَسَّسْ، فَتِلْكَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْمَاضِيْنَ، وَعَادَتُهُ فِي النَّبِيِّنَ، وَالْعُلَمَاءِ وَرَثَتُهُمْ.

قال عروَةُ بنُ الزبيرِ: «كان يُقالُ أَزهدُ الناسِ في العالِمِ أهْلُهُ وجيرانُهُ» (١).

ولما دَخَلَ سببويه اليَمَدُ بنُ هُطَيْلٍ مَكَّةَ فَتَلَقَّاهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَسْأَلُهُ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ يَعْرِفُهُ بِاسْمِهِ وَبَلَدِهِ وَمَوْلَفَاتِهِ. فَتَعَجَّبَ وَقَالَ: لَعَلَّ جِيرَانِي لَا يَعْرِفُونَ ذَلِكَ!
وقال بعضُ العُلَماءِ: «كُلُّ مَقْدُورٍ عَلَيْهِ مَزْهُودٌ فِيهِ».

وفي المَثَلِ: «زَامِرُ الْحَيِّ لَا يُطْرَبُ».

ومن الأَمْثالِ الشَّعْبِيَّةِ عِنْدَنَا بِالْيَمَنِ: «فَقِيهُ الْبِلَادِ اسْمُهُ حَمَادِي».

ومن مَليحِ الأَشْعارِ:

فِيحُلُّوهُ غَيْرَ دَارِ هَوَانٍ	لَا تَرَى عَالِمًا يَحُلُّ بِقَوْمٍ
يَسْعَى لِحَجَّهَا الثَّقَلَانِ	هَذِهِ مَكَّةُ الْمَنِيفَةِ بَيْتُ اللَّهِ
لَهَا أَهْلُهَا لِقُرْبِ مَكَانٍ	وَتَرَى أَزْهَدَ الْبَرِيَّةِ فِي الْحَجِّ

* * *

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو خَيْثَمَةَ فِي الْعِلْمِ (٩١) وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ.

الفِئَةُ فِي الدِّينِ

جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

والفقه في معناه اللغوي هو الفهم، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾^(٢) أَي: لَا يَفْهَمُونَ.

والفقه في عُرْفِ الفقهاء: العلمُ بالأحكامِ الشرعيةِ الفرعيةِ من أدلتها التفصيلية بالاستدلال.

والمُرَادُ من الحديث هو المعنى اللغوي.

ومفهومُ الحديثِ أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَّفَقْهُ فِي الدِّينِ لَمْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا.

والفقه على نوعين:

١. فقهٌ لَا يُعَدَّرُ بِتَرْكِهِ وهو الذي لَا تَصِحُّ عِبَادَتُهُ وَمَعَامَلَاتُهُ إِلَّا بِهِ.
 ٢. فقهٌ يَكُونُ زَائِدًا، وهو فَرَضٌ كِفَايَةٌ كَتَعَلَّمَ الْفِقْهَ وَتَعَلَّمَ جَمِيعَ الْوَسَائِلِ الْمُعِينَةِ عَلَيْهِ مِثْلُ: الْعَرَبِيَّةِ وَنَحْوِهَا فَالثَّانِي هُوَ الْمُرَادُ وَبِهِ تُنَالُ الْخَيْرِيَّةُ.
- وَأَصْلُ الْفِقْهِ وَأَسَاسُهُ مَعْرِفَةُ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَمِّلُهُ، بَلِ التَّوْحِيدُ هُوَ الْفِقْهُ الْأَكْبَرُ.

* * *

(١) رواه البخاري (٣٩٧١)، ومسلم (١٠٣٧).



جاء في «صحيح مسلم» عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ آخَرِينَ» (١).

دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ الرَّفْعَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ، وَعَمِلَ بِهِ، وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ فَمَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، فَلَا يَرَى أَحَدًا أَغْنَى مِنْهُ.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحدًا من أهل الأرض أغنى منه، ولو ملك الدنيا برحبها» (٢).

* * *

(١) رواه مسلم (٩٣٣).

(٢) غريب الحديث (١٧١ / ٢).



هَجْرُ الْقُرْآنِ

الهِجْرُ نَقِيضُ الْوَصْلِ، وَهُوَ مَفَارِقَةُ الشَّيْءِ وَمُتَارَكْتُهُ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا هَجْرُ الْقُرْآنِ وَهُوَ أَمْرٌ شَنِيعٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ لَكِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ أَشْنَعُ.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

وَالهِجْرُ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْوَاعٌ:

١. هَجْرٌ سَمَاعِهِ وَقِرَاءَتِهِ.

٢. هَجْرٌ الْعَمَلِ بِهِ.

٣. هَجْرٌ تَحْكِيمِهِ أَوْ التَّحَاكُمِ إِلَيْهِ.

٤. هَجْرٌ تَدْبِيرِهِ وَتَفَهُمِهِ.

وَكُلُّ هَذَا دَاخِلٌ فِي الْآيَةِ، وَبَعْضُ الْهِجْرِ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ (١).

وَهَجْرٌ سَمَاعِهِ وَقِرَاءَتِهِ قَدْ عَمَّ وَطَمَّ، حَتَّى عِنْدَ بَعْضِ الصَّالِحِينَ، وَهَذَا لَا يَحْسُنُ وَلَا يَجْمَلُ، بَلْ يَحْسُنُ قِرَاءَتُهُ أَوْ سَمَاعُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُزْءًا، بِحَيْثُ يَخْتِمُ فِي شَهْرٍ هَذَا أَقَلُّ شَيْءٍ؛ لِمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»: «اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي شَهْرٍ...» (٢).

(١) الفوائد (٨٢).

(٢) رواه البخاري (١٨٧٧).

وَمَنْ تَرَكَهُ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرٍ يُسَمَّى هَاجِرًا لَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ.

قُمْ فِي الدُّجَىٰ وَاتْلُ الْكِتَابَ وَلَا تَنْمَ إِلَّا كَنُومَةَ حَائِرٍ وَلُهَانٍ
فَلَرَبَّمَا تَأْتِي الْمَنِيَّةُ بَعْتَةً فَتُسَاقُ مِنْ فُرْشٍ إِلَى الْأَكْفَانِ (١)

* * *

(١) مجموعاتُ القصائدِ الزهدياتِ (١/١٦٣).



الكتابُ هو الجليسُ الذي لا يُعْرِيكَ، والأنيسُ الذي لا يَمَلُّكَ، فلا يشغلكُ عنه شاغلٌ من جِوَالٍ أو نحوِه، بل اجْعَلِ الجِوَالَ بمنزلةِ الدواءِ والكتابَ بمنزلةِ الطعامِ والشرابِ والهواءِ، واحذرْ أن يَسْرِقَ الجِوَالُ من عُمْرِكَ، أما الكتابُ فلا خوفَ منه؛ لأنه يضيفُ عُمْرًا إلى عُمْرِكَ، وكأنك قد عَشْتِ مع آدمَ وذريَّتِه من الأنبياءِ والصالحينَ، ومع النبيِّ ﷺ وأصحابِه، ومع الخُلَفَاءِ والملوكِ، والعلماءِ، والأدباءِ، والشعراءِ، حتى يومِكَ هذا، فاخترْ لنفسِكَ ما ينفَعُكُ ويرفَعُكُ.

نعم المَحَدُّثُ والرفيقُ كتابٌ تلهوبه إن خانك الأصحابُ
لا مُفْشِيًّا للسرِّ إن أودَعْتَهُ ويُنالُ منه حِكْمَةٌ وصوابٌ (١)

* * *

(١) المحاسنُ والمساوئُ للبيهقيِّ (٦).

الصلاة سببٌ عظيمٌ في تفريج الكروبِ

عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى (١)، فقوله: «إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى» أي: نَزَلَ به هَمٌّ أو غَمٌّ فَرَزَعَ إلى الصلاة؛ لأن الصلاة تُعِينُ على دَفْعِ النوائِبِ، وتفريجِ الكروبِ، والأُنْسِ بالله، ومناجاتِهِ، والتسليَةِ عن الشيءِ الذي أَحْزَنَهُ وَأَهَمَّهُ.

وكان ابنُ عباسٍ يفعلُ ذلك ويقول: نَفَعَلُ ما أَمَرنا اللهُ به ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

* * *

(١) أخرجه أحمد (٣٨٨/٥)، أبو داود (١٣١٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٧٠٣).



كان النبي ﷺ يَجِدُ الراحةَ واللَّذَّةَ في الصلاةِ فكان يقولُ: «يا بلالُ أقيم الصلاةَ أرْحنا بها» (١).

قال صاحبُ النهايةِ: «أي نستريحُ بأدائها من شُغْلِ القلبِ بها، وقيلَ: كان اشتغالهُ بالصلاةِ راحةً له، فإنه كان يُعِدُّ غيرها من الأعمالِ الدنيويةِ تَعَبًا فكان يستريحُ بالصلاةِ؛ لما فيها من مُناجاةِ اللهِ ﷻ ولهذا قال: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاةِ» وما أقربَ الراحةَ من قُرَّةِ العينِ» (٢).

وَقُلْ لِبَلالِ العَزْمِ من قَلْبِ صادِقٍ أرْحنا بها إن كنتَ حَقًّا مصلِّيا
توضأُ بماءِ التوبةِ اليومَ مُخلِّصًا به تَرَقُّ أبوابُ الجِنانِ الثمانيا

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٥)، وصححه الألباني في المشكاة (١٢٥٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٢/٢٧٤).

الصلاة قرّة العين

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١).

فتأمل - يا عبدَ الله - كيف عَبَّرَ النَّبِيُّ ﷺ عن الصلاةِ بِأَبْلَغِ مِمَّا عَبَّرَ بِهِ عَنِ النِّسَاءِ وَالطَّيِّبِ، أَتَدْرِي مَا قُرَّةُ الْعَيْنِ؟! إِنَّهَا الْفَرَحُ وَالسَّرُورُ، وَاللَّذَّةُ وَالْحُبُورُ، وَمَكَانُهَا فَوْقَ الْمَحَبَّةِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَحْبُوبٍ تَقَرُّ بِهِ الْعَيْنُ!، وَإِنَّمَا تَقَرُّ بِأَعْلَى الْمَحْبُوبَاتِ!، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ صَلَّى صَلَاتَهُ تَقَرُّ عَيْنُهُ هِيَاتًا!.

فَلَا تَقَرُّ إِلَّا عَيْنٌ مِنْ أَقَامَ صَلَاتَهُ أَي: أَتَقَنَّهَا، وَخَشَعَ فِيهَا، وَنَبَذَ عِلَاقَتَ الدُّنْيَا عِنْدَ الْقِيَامِ بِهَا خَلْفَ ظَهْرِهِ، جَعَلْنَا اللهُ مِنْهُمْ.

* * *

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/١٢٨)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٣١٢٤).



الْخُشُوعُ

الْخُشُوعُ: حُضُورُ الْقَلْبِ، وَسُلُوانُ الْجَوَارِحِ.
 وَفِي الصَّلَاةِ: جَمْعُ الْهَمَّةِ لَهَا، وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا سِوَاهَا، وَمَحَلُّهُ الْقَلْبُ،
 وَالْبَاعِثُ عَلَيْهِ خَشْيَةُ اللَّهِ، وَثَمَرَتُهُ الْفَلَاحُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
 خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

وَالْعَاقِبَةُ الْحَسَنَةُ: ﴿وَكُنُوزًا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].
 وَخِفَّةُ الصَّلَاةِ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] أَي: وَإِنَّهَا لَشَاقَّةٌ
 إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ.

فَمَا أَحْوجَنَا لِلْخُشُوعِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ فَنُحْدِثَ: «أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ
 الْخُشُوعُ» (١).

قَالَ الْعُلَمَاءُ: هَذَا الْحَدِيثُ تَحْرِيطٌ عَلَى الْإِتِّصَافِ بِهِ، وَاسْتِجْلَابِ أَسْبَابِهِ
 الْمَوْجِبَةِ لَهُ (٢).

* * *

(١) «مُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ» (١٥٧٩)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢٥٦٩).

(٢) التَّنْوِيرُ، شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ (٤/٣٣٤).

الصلاة على النبي ﷺ

أخبرنا الله ﷻ أنه يُصَلِّي على النبي ﷺ وصَلَاتُهُ ثناءٌ عليه عند الملائكة، وكذلك ملائكتُهُ، وصلَاتُهَا الدعاءُ والاستغفارُ، وَعَقَبَ ذلكَ بِأَمْرِ المؤمنِينَ بالصلاة والسلام عليه، وصلَاتُهُمْ تَشْرِيفٌ وتَعْظِيمٌ لَشَأْنِهِ، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فإذا كان الله ﷻ وملائكته يُصَلُّونَ على النبي، فنحنُ أَحَقُّ أَنْ نُصَلِّيَ عليه، فقد أخرجنا الله به من الظلماتِ إلى النورِ، وصلَاتُنَا تَعُودُ مُضَاعَفَاتٍ بالصلاةِ من الله علينا، ففي «الصحيح»: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» (١).

إِنَّ أَنْتَ أَكْثَرْتَ الصَّلَاةَ عَلَى الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فِي الْآيَاتِ
وَجَعَلْتَهَا وَرْدًا عَلَيْكَ مُحْتَمًّا
حَلَّتْ عَلَيْكَ بِشَائِرُ الْخَيْرَاتِ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فِي الْآيَاتِ

* * *

(١) رواه مسلم (٤٠٨).



الزُّكَاةُ

الزُّكَاةُ: هِيَ النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تُثْمِرُ الْمَالَ وَتُنْمِيهِ.
فَوَاعَجَبًا لِمَنْ يَحْرِمُ نَفْسَهُ هَذَا الْخَيْرِ بَلْ وَيَسْعَى لِمَحَقِّ مَا تَبَقَّى لَهُ مِنْ رِزْقٍ،
وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صِنْعًا.

وَلَا يَغِيبُ عَنْكَ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ الزُّكَاةَ، وَقَرَّنَهَا بِالصَّلَاةِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ
كِتَابِهِ، فَهِيَ فَرَضٌ مِنْ فَرَائِضِ الْإِسْلَامِ وَرُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِهِ الْعِظَامِ، وَمِمَّا عَلِمَ مِنَ
الدينِ بِالضَّرُورَةِ، وَمَنْعُهَا إِثْمٌ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ.

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ مَنَعَ الزُّكَاةَ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ
إِثْمًا مِنَ الْمُدْمِنِ عَلَى الزُّنَا، أَوْ السَّرْقَةِ، أَوْ شُرْبِ الْخَمْرِ، أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْمَعَاصِي
الْكَبِيرِ كَالْقَتْلِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَوِّلُ لِلإِنْسَانِ وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَبْخَلَ
بِهَا؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ
مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨]» (١).

* * *

(١) عُمْدَةُ الْأَحْكَامِ (١/٥٥٢).



الصَّدَقَةُ

الصدقة: هي تبرُّعٌ بشيءٍ مُباحٍ في سبيلِ الله دون تحديدِ نصابٍ وزمانٍ، وحكمها الاستحبابُ بخلافِ الزكاةِ.

والله لم يطلب منك أن تُنفقَ كُلَّ مالِك، بل بعضًا منه، قال -تعالى-: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٣].

قال ابنُ سعديٍّ رَحِمَهُ اللهُ: «ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ((مِنْ)) الدَّالَّةَ عَلَى التَّبَعِيضِ؛ لِيُنَبِّهَهُمْ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ مِنْهُمْ إِلَّا إِنْفَاقَ جُزْءٍ يَسِيرٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ غَيْرِ ضَارٍّ لَهُمْ وَلَا مَثْقَلٍ، بَلْ يَتَنَفَعُونَ مِنْهُم بِإِنْفَاقِهِ، وَيَتَنَفَعُ بِهِ إِخْوَانُهُمْ» (١).

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الصَّدَقَةَ تُنْقِصُ الْمَالَ فَقَدْ أَسَاءَ الظَّنَّ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وفي «الصحيحين»: «ما نقص مالٌ من صدقة» (٢).

ودعوةُ الملائكةِ كُلِّ يومٍ «اللهم أعطِ مُنْفِقًا خَلَفًا» (٣).

* * *

(١) تفسيرُ السَّعْدِيِّ (٤٠).

(٢) رواه مسلمٌ (٢٥٨٨).

(٣) رواه البخاريُّ (١٤٤٢)، ومسلمٌ (١٠١٠).

مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ

جاء في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ».

والصدقة لفظاً يُعْمَى كُلُّ إِنْفَاقٍ مِمَّا وَهَبَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ مِنْ مَالٍ، أَوْ عِلْمٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ أَيِّ مَنَفَعَةٍ صَالِحَةٍ حَتَّى الْكَلِمَةُ الطَّيْبَةُ، وَلِلشَّيْطَانِ حُضُورُهُ عِنْدَ إِرَادَةِ الْإِنْفَاقِ ﴿الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾.

وَاللَّهُ تَعَالَى يَمَلَأُ الْقَلْبَ يَقِينًا وَرَغْبَةً فِيمَا عِنْدَهُ ﴿وَاللَّهُ يُعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وَفَضْلًا أَيَّ زِيَادَةٍ، وَالزِّيَادَةُ تَكُونُ كَمِيَّةً بَأَنَّ يَفْتَحَ لَكَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الرِّزْقِ لَمْ يَخْطُرْ لَكَ عَلَى بَالٍ.

أَوْ كَيْفِيَّةً بَأَنَّ يُنْزِلَ الْبُرْكَهَ فِيمَا بَقِيَ لَكَ مِنْ مَالٍ.

مَعَ مَا يُخْلِفُهُ وَيُضَاعِفُهُ لَكَ فِي آخِرَتِكَ ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩].

مَعَ مَا فِيهِ مِنْ تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩].

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السُّبُلِ، لَكِنَّ الْبَخِيلَ لَا يَرَى إِلَّا سَبِيلًا وَاحِدًا وَهُوَ مَا يَعِدُّهُ بِهِ

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨).

الشيطان!

يرى البخيلُ سبيلَ المالِ واحداً إنَّ الجوادَ يرى في مالِهِ سُبُلًا

* * *

مَالُ الْمُؤْمِنِ مَا قَدَّمَ

جاء في «صحيح البخاري»^(١) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالٌ وَّارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ» قالوا: يا رسول الله ما مِنَّا إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ. قال: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَّارِثُهُ مَا أَخَّرَ».

فهذا الحديثُ تَنْبِيهٌُ لَطِيفٌ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُقَدِّمَ مِنْ مَالِهِ لِآخِرَتِهِ فَإِنَّ مَالَهُ هُوَ مَا قَدَّمَهُ فِي أَعْمَلِ الْبِرِّ، وَمَا تَرَكَهُ خَلْفَهُ فَمَالٌ وَّارِثُهُ، وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثِ «إِنَّكَ إِنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً»؛ لِأَنَّ سَعْدًا أَرَادَ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمَالِهِ كُلِّهِ فِي حَالِ مَرَضِهِ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِالثَّلْثِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا خَاطَبَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَفِي حَالِ الصَّحَةِ يَجُوزُ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمَا شَاءَ.

* * *

(١) رواه البخاري (٦٠٧٧).



ذِكْرُ اللَّهِ

من أَحَبَّ أَنْ يذْكُرَهُ اللَّهُ فعليه بذكره: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]،
وليس ذكرُ الله لنا مثلُ ذكرنا: ﴿لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ناهيك عما في ذكرِ الله من زادٍ وأَيُّ زادٍ، ففي «الصحيحين»^(١): «مَثَلُ الَّذِي
يذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ الْمَيِّتِ».

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «فيه أَنَّ طَوْلَ الْعُمْرِ فِي الطَّاعَةِ فَضِيلَةٌ وَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ يَنْتَقِلُ
إِلَى خَيْرٍ؛ لِأَنَّ الْحَيَّ سَيَلْحَقُ بِهِ وَيَزِيدُ عَلَيْهِ بِمَا يَفْعَلُهُ مِنَ الطَّاعَاتِ»^(٢).

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرَحَلْ بِزَادٍ مِنَ التَّقَى وَلَا قَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَلَّا تَكُونَ كَمَثَلِهِ وَأَنَّكَ لَمْ تَرُصِدْ كَمَا كَانَ أَرْصِدَا^(٣)

* * *

(١) رواه البخاري (٦٠٤٤).

(٢) شرح النووي على مسلم (٦٨/٦).

(٣) التذكرة الحمدونية (١٦٧/١).



الاستغفارُ

الاستغفارُ: هو طَلَبُ المغفرةِ من اللهِ باللِّسانِ والقلبِ معاً، وهو سببٌ لِذُرُورِ الرزقِ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح: ١٠، ١١].

وسببٌ للمتاعِ الحَسَنِ: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ [هود: ٣].

وسببُ المغفرةِ جاء في الحديثِ القُدْسِيِّ: «... لا أَبْرَحُ أُغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»^(١).

وفي «الصحيح»: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً»^(٢)، ومعنى لَيَغَانُ: أَرَادَ مَا يَغْشَاهُ مِنَ السَّهْوِ الَّذِي لَا يَخْلُو مِنْهُ الْبَشَرُ؛ لِأَنَّ قَلْبَهُ أَبَدًا كَانَ مَشْغُولًا بِهِ^(٣).

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبِّ الْعِبَادِ لَهُ التَّوْجِيهُ وَالْأَمَلُ



(١) أخرجه أحمدُ (١١٢٦٢)، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١٦٥٠).

(٢) أخرجه أحمدُ (١٧٨٨٢)، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٢٤١٥).

(٣) التنويرُ شرحُ الجامعِ الصغيرِ (٢١٠/٤).

ذِكْرُ الدُّنْيَا

عَدَمُ ذِكْرِ الدُّنْيَا مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى الصَّفْوَةِ مِنْ عِبَادِهِ ﴿إِنَّمَا أَخْلَصْنَهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرِي الدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ [ص: ٤٦] أَي: نَزَعْنَا حُبَّ الدُّنْيَا وَذَكَرَهَا مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَأَخْلَصْنَاهُمْ بِحُبِّ الْآخِرَةِ وَذَكَرَهَا.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يُذَكِّرُهُ الدُّنْيَا؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ لَنَا سِتْرٌ فِيهِ تَمَثُّلٌ طَائِرٌ، وَكَانَ الدَّاخِلُ إِذَا دَخَلَ اسْتَقْبَلَهُ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، حَوَّلِي هَذَا، فَإِنِّي كَلَّمَا دَخَلْتُ فَرَأَيْتُهُ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا (١).

وَكَذَلِكَ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «كَانَ مَجَالِسُ أَحْمَدَ مَجَالِسُ الْآخِرَةِ، لَا يُذَكِّرُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَمَا رَأَيْتُهُ ذَكَرَ الدُّنْيَا قَطُّ».

فَصَدَّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عِذْرَاءَ نَاهِدٍ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَزْهَدْ وَقَدْ صُبِغَتْ لَهُ بَعْضُفْرِهَا الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِزَاهِدٍ (٢)

* * *

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢١٠٧).

(٢) الْحِمَاسَةُ الْمَغْرِبِيَّةُ (١/٣٥٨).



كثيرٌ من الناسِ يرفلونَ في ثَوْبِي الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ فِي حِينِ الْأَمْرَاضِ وَالْأُوبْتَةِ
تَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ، فَمَا أَحْوَجَنَا لَشُكْرِ اللَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِنِعْمٍ كَثِيرَةٍ وَمِنْهَا
نِعْمَةُ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، فَإِنَّ الشُّكُورَ يَزِدَادُ وَالتَّقْوَى خَيْرٌ زَادٍ.

وَالشُّكْرُ يَكُونُ بِاللِّسَانِ كَمَا يَكُونُ بِالْجَنَانِ وَالْأَرْكَانِ.

أَفَادَتْكُمْ النِّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا (١)

وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ فِي الرِّخَاءِ عَرَفَهُ اللَّهُ فِي الشَّدَّةِ بِدَلِيلِ أَنَّهُمْ كَانُوا... وَكَانُوا، كَمَا
قَالَ ﷺ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَرَوَّجَهُ وَإِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي
الْحَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].



(١) ربيع الأبرار للزمخشري (٥/٢٧٧).



مُجَاهِدَةُ النَّفْسِ

مُجَاهِدَةُ النَّفْسِ: هِيَ حَمْلُهَا عَلَى اتِّبَاعِ أَوْامِرِ اللَّهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ فَمَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ بِصِدْقٍ فَإِنَّهُ يَحْضُلُ لَهُ مِنَ الْهَدَايَةِ وَالْمَعُونَةِ وَالتَّوْفِيقِ أُمُورٌ إِلَهِيَّةٌ خَارِجَةٌ عَنِ مَدَارِكِ اجْتِهَادِهِ بِدَلِيلٍ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَعَلَّقَ رَحِمَهُ اللَّهُ الْهَدَايَةَ بِالْجِهَادِ، فَأَكْمَلُ النَّاسِ هَدَايَةً أَعْظَمُهُمْ جِهَادًا، وَأَفْرَضُ الْجِهَادِ: جِهَادُ النَّفْسِ، وَجِهَادُ الْهَوَى، وَجِهَادُ الشَّيْطَانِ، وَجِهَادُ الدُّنْيَا، فَمَنْ جَاهَدَ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ فِي اللَّهِ هَدَاهُ اللَّهُ سُبُلَ رِضَاةِ الْمَوْصِلَةِ إِلَى جَنَّتِهِ» (١).

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ وَقَهَرَهَا وَدَانَهَا عَزَّ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ انْتَصَرَ عَلَى أَشَدِّ أَعْدَائِهِ.

* * *



المُحَاسِبَةُ

المحاسبة - كما عرّفها الماوردي: - أَنْ يَتَصَفَّحَ الْإِنْسَانُ فِي لَيْلِهِ مَا صَدَرَ مِنْ أَعْمَالِهِ فِي نَهَارِهِ، فَإِنْ كَانَ مَحْمُودًا أَمْضَاهُ، وَأَتَّبَعَهُ بِمَا شَاكَلَهُ وَضَاهَاهُ، وَإِنْ كَانَ مَذْمُومًا اسْتَدْرَكَهُ إِنْ أَمَكَنَ، وَإِنْ لَمْ يَمَكُنْ فَيَتَّبِعُهُ بِالْحَسَنَاتِ، وَيُنْتَهِي عَنْ مِثْلِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَلَتَنْظُرُنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، أي: حاسبوا أنفسكم ماذا قدّمتم لغد.

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾، واللّوامة هي التي تُحَاسِبُ نَفْسَهَا عَلَى الشَّرِّ لِمَ عَمِلْتَهُ، وَعَنِ الْخَيْرِ لِمَ لَمْ تَسْتَكْثِرْ مِنْهُ.

ومن فوائدها: معرفة حق الله، والاطلاع على عيوب النفس، وتركيتها، والتوبة من الذنوب والمعاصي.

حاسب النفس، وعلمها الرضا بالقضا واعصِ هواها ترَضَ لَكَ (١)



تزكية النَّفْسِ

تزكية النفس: هي تطهيرها من أدرانها، وآفاتِها وكلِّ خُلُقٍ سافلٍ كالشركِ والمعاصي، وتحليتها بالتوحيد والطاعات، وكلِّ خُلُقٍ فاضلٍ؛ لحديث: «ثلاثٌ من فَعَلَهُنَّ، فقد طَعِمَ طَعْمَ الإِيمَانِ ... وفيه: «وزَكَّى نَفْسَهُ»، فقال رجلٌ: وما تزكية النفس؟، فقال: «أن يَعْلَمَ أن اللهَ ﷻ مَعَهُ حيثُ كان»^(١).

وهذه الكلمة هي جِماعٌ معنى الإحسان، وهي أن تعبدَ اللهَ بِاسْمِهِ العليم، وأنَّ ذلك هو الطريقُ الأمثلُ لتزكية النفسِ وتطهيرها عن طَرِيقِ العلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ، وفِعْلِ المأموراتِ، وتَرْكِ المحظوراتِ.

وتزكية النفسِ سَبَبُ فلاحِ العبدِ، وإهمالها سبيلُ الخُسْرانِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا^(١٠) [الشمس: ٩، ١٠].

وبالتزكية تصيرُ النفسُ لوامةً تلومُ العبدَ على فعلِ المعصية، وعلى التفریطِ في الطاعةِ ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوامةِ﴾^(١١) [القيامة: ٢].

ومن داومَ على تزكية نفسه بالطاعاتِ وتَرْكِ المعاصي صارتْ نفسُهُ مطمئنةً بذكرِ اللهِ وطاعتهِ، وتُبَشِّرُ عند موتها بِبِشارَتينِ:

١ . بشارَةُ ملائكةِ الموتِ. ﴿يَأْتِيَنَّهَا النُّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(١٢) أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ راضيةً

(١) أخرجه أبو داودَ (١٥٨٢)، وصحَّحهُ الألبانيُّ في «الصحيحه» (١٠٤٦).

مَرَضِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ [الفجر: ٢٧].

٢. بشارَةٌ من الله. ﴿وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾ ﴿٣٠﴾ [الفجر: ٣٠].

بنفسِكَ قَبْلَ النَّاسِ فَاعْنِ فَإِنَّهَا
وما كُلُّ ما خُوِّلَتْ إِلَّا وديعَةٌ
إِذَا ذَكَرْتِكَ النَّفْسُ دُنْيَا دُنْيَةً
تموتُ إِذَا مَاتَتْ وَتُبْعَتْ وَحَدَّهَا
ولن تذهبَ الأيَّامُ حتَّى تَرُدَّهَا
فلا تنسَ روضاتِ الجنانِ وخُلدَها^(١)

* * *



مُراقِبَةُ اللَّهِ

مُراقِبَةُ اللَّهِ: هي دوامُ علمِ العَبْدِ بِاطِّلاعِ اللَّهِ على جميعِ حركاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ، ظاهرةً وباطنةً.

وتكونُ في ثلاثةِ أشياء:

١. مُراقِبَةُ اللَّهِ عندِ ورودِ المعصية:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝٦٩﴾ [النساء: ١].

٢. في الهَمِّ والخواطر:

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٦٩﴾ [القصص: ٦٩].

٣. عندِ فِعْلِ الطاعة: جاء في «الصحیحین» (١): «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، أي: تعبدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تُراقِبُهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُراقِبُهُ فهو يراقِبُكَ.

وتُنالُ المُراقِبَةُ بالتعَبُّدِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى: كالشهِيدِ، والرَّقِيبِ، والعَلِيمِ، والسمِيعِ، والبصِيرِ، والمُحِيطِ (٢)...

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ، وَلَكِنْ قُلْ: عَلَيَّ رَقِيبٌ

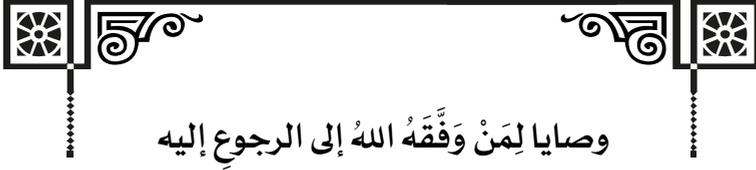
(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (١٠).

(٢) انظر كتابي «مُراقِبَةُ اللَّهِ» فيه بيانٌ شافٍ، واختصارٌ كافٍ، وكلامٌ مُحَرَّرٌ.

ولا تحسبنَّ الله يغفلُ ساعةً ولا أنَّ ما تُخْفِيهِ عَنْهُ يَغِيبُ (١)

* * *

(١) الأُمالي في لغة العَرَبِ (٢ / ٩٦).



يا مَنْ وفقَهُ اللهُ إلى الرجوعِ إليه بلزومِ طريقِ الإسلامِ والسُّنَّةِ، أوصيكَ بوصايا،
لَعَلَّ اللهُ أن ينفَعَكَ بها:

١. شَكَرُ اللهُ الذي مَنَّ عليك بهذه النعمة الكبرى، ولا نعمة أكبرَ منها:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

٢. سؤالُ اللهِ الثباتَ دائماً، قالت أمُّ سلمة: «كان أكثرَ دعائه ﷺ يا مُقَلَّبَ
القلوبِ، ثَبَّتْ قَلْبِي»^(١).

٣. الحرصُ على ملازمةِ الطاعاتِ:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْحَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

٤. الإكثارُ من قراءةِ القرآنِ بتدبيرٍ؛ لحديث: «اقرأ القرآن في شهر»^(٢).

٥. مصاحبةُ الأخيارِ؛ لحديث: «لا تصاحبْ إلا مؤمناً»^(٣).

٦. سؤالُ اللهِ الإعانةَ دُبْرَ كُلِّ صلاةٍ؛ لحديث: «اللهم أعني على ذكرك

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٢)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٨٠١).

(٢) رواه البخاري (١٨٧٧) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٥)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٤١) عن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه.

وشكرِك وحسنِ عبادتِك^(١).

* * *

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، وصحَّحهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٧٩٦٩) عن معاذِ بنِ جبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

طريقُ الأنبياءِ

من حكمةِ الله: أَنْ جَعَلَ عَلَى سَبِيلِهِ قَوَاطِعَ جَمَّةٍ صِلَابًا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

فَمَنْ سَلَكَ هَذَا الطَّرِيقَ فَعَلِيهِ أَنْ يُوطِنَ نَفْسَهُ عَلَى تَحْمُلِ الْمَكَارِهِ؛ فَطَرِيقُ الْأَنْبِيَاءِ - كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -: «تَعَبَ فِيهِ آدَمُ، وَنَاحَ لِأَجْلِهِ نُوحٌ، وَرَمِيَ فِي النَّارِ الْخَلِيلُ، وَأُضْجِعَ لِلذَّبْحِ إِسْمَاعِيلُ، وَبِيعَ يَوْسُفُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ وَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ، وَنُشِرَ بِالْمَنْشَارِ زَكَرِيَّا، وَذُبِحَ السَّيِّدُ الْحَصُورُ يَحْيَى، وَقَاسَى الضَّرَّ أَيُّوبُ، وَزَادَ عَلَى الْمَقْدَارِ بَكَاءَ دَاوُدَ، وَسَارَ مَعَ الْوَحْشِ عِيسَى، وَعَالَجَ الْفَقْرَ وَأَنْوَاعَ الْأَذَى مُحَمَّدٌ، وَتَزَهَوَ أَنْتَ بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ؟!».

فِيهَا دَارَهَا بِالْحَزَنِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالٌ (١)

* * *



من أسباب التوفيق

التوفيقُ: هو الإلهامُ للخيرِ يُقالُ: وَفَّقَهُ اللهُ أَي: أَلْهَمَهُ إِيَّاهُ وَسَدَّدَ خُطَاهُ وَأَنْجَحَهُ فِيمَا سَعَى إِلَيْهِ.

وأسبابُ التوفيقِ جَمَّةٌ جَمَعْتُهَا فِي كِتَابٍ لِي سَمَّيْتُهُ «أَسْرَارُ التوفيقِ» - فَخُذْهُ وَلَوْ بِقُرْطَيْ مَارِيَّةَ-!

ومن تلك الأسبابِ: الدعاءُ والافتقارُ، وكثرةُ اللُّجُوءِ إِلَى اللهِ.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «أجمع العارفون على أن كلَّ خيرٍ فأصلُهُ بتوفيقِ اللهِ للعَبْدِ، وَكُلُّ شَرٍّ فَأَصْلُهُ خُذْلَانُهُ لِعَبْدِهِ، وَأَجْمَعُوا أَنَّ التوفيقَ أَنْ لَا يَكِلَكَ اللهُ إِلَى نَفْسِكَ ، وَأَنَّ الخُذْلَانَ أَنْ يُخَلِّيَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ، فَإِذَا كَانَ كُلُّ خَيْرٍ فَأَصْلُهُ التوفيقُ وهو بيدُ اللهِ لا بيدُ العَبْدِ فمفتاحُ الدعاءِ، والافتقارُ، وَصِدْقُ اللُّجُوءِ والرغبةِ والرَّهْبَةِ إِلَيْهِ، فمتى أعطى العبدَ هذا المفتاحَ فقد أرادَ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ، وَمتى أَصْلَهُ عَنِ المِفْتَاحِ بَقِيَ بَابُ الخَيْرِ مُرْتَجًا دُونَهُ» (١)

ومفتاحُ تَوْفِيقِ الفَتَى صِدْقِ رَغْبَةٍ وَرَهْبَتُهُ ثُمَّ الدَعَاءُ المُكْرَمُ

* * *

الفرار من الفتن

الْفِتْنُ فِي عَصْرِنَا عَمَّتْ وَطَمَّتْ كِفْتِنِ النِّسَاءِ، وَالبِدْعِ، وَالحزبية، وَالقنواتِ،
ووسائل التواصل...

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُحَذِّرُنَا مِنَ الْفِتَنِ بِقَوْلِهِ: «مَنْ اسْتَشْرَفَ لَهَا اسْتَشْرَفَتْهُ» (١) أَي: مَنْ
تَطَّلَعَ لَهَا وَلَوْ بِنَظْرَةٍ لِأَبْدَنْ أَنْ يُصِيبَهُ مِنْهَا بِقَدْرِ ذَلِكَ

وَيَقُولُ: «مَنْ وَجَدَ مِنْهَا فِرَارًا أَوْ مَعَاذًا فَلْيُعْذِبْهُ» (٢) أَي: مَنْ وَجَدَ مِنْهَا فِرَارًا أَوْ
هَرُوبًا فَلْيَهْرُبْ.

وَيَقُولُ: «مَنْ سَمِعَ بِالدِّجَالِ فَلْيَنَأْ عَنْهُ» (٣) أَي: مَنْ سَمِعَ بِهِ فِي مَكَانٍ ذَهَبَ إِلَى
غَيْرِهِ.

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «صَيْدِهِ»: «مَنْ قَارَبَ الْفِتْنَةَ بَعُدَتْ عَنْهُ السَّلَامَةُ» (٤).

وَقَالَ: «مَا رَأَيْتُ فِتْنَةً أَعْظَمَ مِنْ مُقَارَبَةِ الْفِتْنَةِ» (٥).

(١) رواه البخاري (٧٠٨)، ومسلم (٢٨٨٦) عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٢) رواه مسلم (٢٨٨٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٠١).

(٤) صيد الخاطر (٤١).

(٥) المرجع السابق (٣٥٠).

وقال ابنُ حزمٍ في «طوقه»:

وَدَعِ التَّعَرُّضَ لِلْمِحْنِ
وَالعَيْنُ بَابٌ لِلْفِتَنِ^(١)

لَا تُتْبِعِ النَّفْسَ الْهَوَى
إِبْلِسُ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ

* * *

(١) طوقُ الحمامةِ (١٢٧).

اشترِ نَفْسَكَ مِنَ اللَّهِ

جاء في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُؤَبِّقُهَا» أي: أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ سَاعٍ فِي هَلَاكِ نَفْسِهِ، أَوْ فِي فَكَاكِهَا فَمَنْ سَعَى فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَقَدْ أَعْتَقَ نَفْسَهُ، وَمَنْ سَعَى فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَقَدْ أَوْبَقَ نَفْسَهُ.

هذه هي حقيقة الدنيا كسوقٍ قامَ ثم انفضَّ ربحٌ فيه من ربحٍ، وخسر فيه من خسرٍ.

وَالْغَبْنُ حَقًّا أَنْ تَكُونَ السَّلْعَةُ هِيَ أَنْتَ؛ حَيْثُ يَرْبِحُ النَّاسُ وَتَخْسِرُ.

قَالَ أَحَدُ السَّلَفِ: «أَنْتَ تَعْدُو وَتَرُوحُ فِي طَلَبِ الْأَرْبَاحِ فَلْيَكُنْ هَمُّكَ نَفْسَكَ».

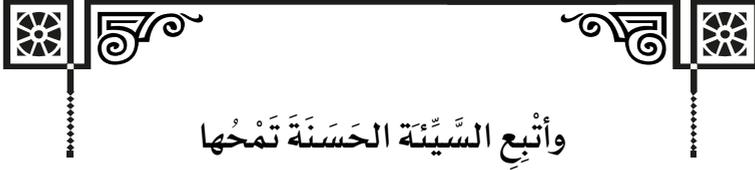
وَقَالَ آخَرُ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْجَنَّةَ ثَمَنًا لِأَنْفُسِكُمْ فَلَا تَبِيعُوهَا بِغَيْرِهَا».

وَقَالَ آخَرُ: «الْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا كَالْأَسِيرِ يَسْعَى فِي فَكَاكِ رَقَبَتِهِ».

أَثَامِنُ بِالنَّفْسِ النَّفِيسَةِ رَبِّهَا	وَلَيْسَ لَهَا فِي الْخَلْقِ كُلِّهِمْ ثَمَنٌ
بِهَا تَمْلِكُ الْأُخْرَى فَإِنَّا بَاعْتُمُوهَا	بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا فَذَاكَ هُوَ الْغَبْنُ
لَعِنَ ذَهَبَتْ نَفْسِي بِدُنْيَا أَصَبْتُهَا	لَقَدْ ذَهَبَتْ نَفْسِي وَقَدْ ذَهَبَ الثَّمَنُ

* * *

(١) رواه مسلم (٢٢٣).



وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا

جاء في سنن الترمذي بسندٍ حَسَنٍ (١) من حديثِ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي، فَقَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».

فَدَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى الْأَمْرِ بِالتَّقْوَى، وَلَمَّا كَانَ وَقُوعُ الْعَبْدِ فِي السَّيِّئَاتِ يُكَدِّرُ عَلَيْهِ تَقْوَاهُ، أَمْرَهُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَمْحُو هَذِهِ السَّيِّئَاتِ، وَهُوَ أَنْ يُتْبِعَهَا بِالْحَسَنَاتِ، فَالْحَسَنَاتُ أَيًّا كَانَتْ صَلَاةً، أَوْ صَوْمًا، أَوْ زَكَاةً، أَوْ حَجًّا، أَوْ عَمْرَةً، أَوْ ذِكْرًا، أَوْ تَلَاوَةً لِلْقُرْآنِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ، وَالْحَسَنَةُ الْجَامِعَةُ الَّتِي تَمْحُو جَمِيعَ الذُّنُوبِ هِيَ: التَّوْبَةُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرْتُمُ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤] وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ أَنَّهَا لَيْسَتْ ذِكْرًا لِغَيْرِهِمْ، وَلَكِنَّ الذَّاكِرِينَ يَنْتَفِعُونَ بِهَا.

* * *

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢١٥٢٦)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٣٧٣).



خواطرُ السُّوءِ

الإنسانُ لا يخلو من خواطرِ السوءِ التي لا يمكنُ دَفْعُها إلا بقطعِ أسبابِها.
 ومن أسبابِها: التحدُّثُ مع الأجنبيَّةِ، أو التراسُّلِ معها، أو النظرِ إليها.
 والأجنبيَّةُ لا تَسَلِّمُ من تِلْكَ الخواطرِ؛ قال العليمُ الخبيرُ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ
 مَتَّعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.
 وَعَلَّلَ ذلك بقوله: ﴿ذَالِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.
 والله ﷻ إنما خاطَبَ بتلك الآيةِ أَطْهَرَ الخلقِ من الرجالِ والنساءِ بعد الأنبياءِ
 وأين نحنُ منهم؟!





انظُرْ إِلَى مَنْ دُونَكَ فِي الدُّنْيَا، أَوْ مَنْ فَوْقَكَ فِي الدِّينِ

جاء في «الصحيحين»: «إذا نظر أحدكم إلى من فضّل عليه في المالِ والخَلْقِ فلينظر إلى مَنْ أَسْفَلَ مِنْهُ مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ» وزاد مسلمٌ «فهو أجدرُّ أَلَّا تزدروا نعمة الله عليكم»^(١).

فدلّ الحديثُ أن الإنسان لا يكونُ في حالٍ من الدنيا إلا وجدَ مَنْ هو فوقه في المالِ أو الدينِ، فإذا نظرَ إلى مَنْ هو فوقه في المالِ، والجاهِ، والصحةِ استقلَّ ما عنده وقلَّ شُكْرُهُ، وإذا نظرَ إلى مَنْ هو فوقه في الدينِ قَوِيَ عَزْمُهُ إلى اللِّحَاقِ بِهِ وَمَنَافَسَتِهِ فينبغي أن ينظرَ إلى مَنْ دُونَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِلَى مَنْ فَوْقَهُ فِي الدِّينِ وَبِذَلِكَ يَسْعَدُ وَيَنْجَحُ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ.

مَنْ شَاءَ عَيْشًا هَنِئًا يَسْتَفِيدُ بِهِ فِي دِينِهِ ثُمَّ فِي دُنْيَاهُ إِقْبَالًا
فَلْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ أَدْبًا وَلْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ دُونَهُ مَا لَا^(٢)

* * *

(١) «رواهُ مسلمٌ» (٢٩٦٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) تَتَمَّةُ الْيَتِيمَةِ (٤ / ٣٧٩).

مراقبة الله في وسائل التواصل

قديمًا ابتلى الله الصحابة بالصَّيْدِ، وهم مُحْرَمُونَ^(١)، فكان يغشى رحالهم من كثرتها ﴿لَيَلُونَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤].

ونحن ابتلينا بهذه الأجهزة تنالها أيدينا وجيوبنا حتى إنَّ المقاطع والصُّورَ والمحدثات تُعْجُ عجيبيًا، وللشيطانِ خُطواتٌ، اليومَ لمحَّةٌ وغدًا نظرةٌ... والذنوبُ تُرافقُ بعضها بعضًا.

فيجبُ مراقبةُ الله ومن أسمائه (الرقيب) الذي لا يغيبُ عنه شيءٌ من أمورِ خلقه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

* * *

(١) الْمُحْرَمُ يَحْرُمُ عَلَيْهِ الصَّيْدُ.

المرأة الصالحة خير متاع الدنيا

جاء في «صحيح مسلم»^(١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا متاعٌ وخير متاعها المرأة الصالحة» أي: أن الدنيا شيء يُتمتع به، كما يُتمتع المسافر بزاده ثم ينتهي، فإذا كنتِ اخترتِ زوجتكِ لدينها فأبشِر بما يسركِ، وبما تقرُّ به عينك - إن شاء الله -.

قال سفيان بن عيينة: «ذكر في حديث: «تُكح المرأة على أربع: دينها، وحسبها، ومالها، وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يدك» فأخترت لنفسي ذات الدين... فجمع الله لي العزَّ والمال مع الدين».

وقال غيره: «اخترت ذات الدين ولم تكن بذات جمالٍ فجعلها الله في عيني أجمل امرأة في الدنيا».

وأنا أنصح من أقبل على الزواج أن يحرص على ذات الدين، قال الماوردي رحمته الله: «إن كان العقد رغبةً في الدين فهو أوثق العقود حالاً، وأدومها ألفةً، وأحمدُها بدءاً وعاقبةً»^(٢).

وقال ابن حجر رحمته الله: «إن اللائق بذِي الدين والمروءة أن يكون الدين مطمَح نظره في كل شيءٍ لا سيما فيما تطول صحبته»^(٣).

(١) رواه مسلم (١٤٦٧).

(٢) أدب الدنيا والدين (١٥٦).

(٣) «فتح الباري» (٩/ ١٣٥).

ومن سَعَدِ حَظُّ الْمَرْءِ وَجَدَانُ زَوْجِهِ تَطِيبُ بِهَا هَذَا الْحَيَاةُ وَتَعْدُبُ

* * *

الزوجة الودود الولود

جاء في سنن أبي داود^(١) بسندٍ صحيح عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم».

هذا حديثٌ عظيمٌ، وهو سببٌ إقبالِ الصالحين على التعدادِ فهُمْ يريدون (الودود) أي: المحببةً لزوجها بلطفِ أخلاقها، وخدمتها؛ فالودودُ شديدةُ الحبِّ لزوجها، وصاحبةٌ قبل أن تكون زوجةً.

والولودُ أي: الولادُ، وتعرفُ بحالِ قرابتها، ولا تستخديمُ ما يمنع حملها ولو أذن لها زوجها، فإذا كانت زوجتك قد عريت من تلك الصفتين فتزوج فإنك لم تتزوج.

ولا يُقيم على ضيمٍ يُرادُ به
إلا الأذلان عير الحَيِّ والودِ
هذا على الخسفِ مربوطٌ برمته
وذا يُشجُّ فلا يرثي له أحدٌ

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٥٠) وصححه الألباني في «الصححة» (١٧٨٢).

المبالغة في طلب ذات الجمال

جاء في «الصحيحين»: «تُنكح المرأة لأربع: لجمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(١).

فقوله: «فاظفر بذات الدين» فمن بالغ في طلب ذات الجمال، لن يسعد بها؛ لأن الجميلة إذا لم تكن ذات دين، أفسدت على زوجها الكثير من شؤون حياته، وبالغت في تدللها بحسبها وجمالها، فازدادت طلباتها، وسعت في فرض سيطرتها، وإثبات ذاتها.

قال الرافعي في «أماله»: «إنه يخشى من الحسن التام البارع في المرأة؛ لأنه يخاف بسببه من الإفراط في الإدلال الموروث للوحشة، والمنازعة والأطماع الفاسدة؛ فالمنهل العذب كثير الزحام»^(٢).

فالتوسط والاعتدال في هذا الأمر مطلوب، فلا قبح منفر، ولا جمال مضر، وكفى بالدين جمالاً.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «واعلم أنك إذا اخترت ذات الدين استرشاداً بإرشاد

(١) رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

(٢) دليل الفالحين شرح رياض الصالحين (٣/ ٢٢٨).

النبي ﷺ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ مَنْ لَمْ تَكُنْ جَمِيلَةً جَمِيلَةً» (١).

* * *

(١) شرح صحيح مسلم (٧ / ٢٣٩).

الزواج من الثانية

الحياة الزوجية مبنية على المودة والرحمة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

والزواج بالثانية مما تقرُّ به العينُ وبابٍ من أبواب الرِّزقِ، وتكثيرِ النسلِ وكثرةِ النسلِ وزيادته من النعم ﴿وَإِذْ كُورُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦].

وامتنَّ الله على بني إسرائيل ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦].

زِدْ أَنَّهُ تَمَّ بِقَدَرٍ سَابِقٍ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

فعلى الأولى أن ترضى وتصبّر، فإنَّ عَدَمَ الرضا كما يكون أقوالاً يكون أفعالاً، فإذا تغيّرت إلى الأحسنِ ونافست ضرتّها على كسبِ قلبِ زوجها، وطلبِ رضاه فهي راضيةٌ.

وإذا تغيّرت إلى الأسوأ، ولجأت إلى مُخاصمةِ زوجها، وتتبع عثراته، فهذا نوعُ اعتراضٍ على القدرِ، وظلمٌ للزوج، وبعضُ نساءِ المُعدِّدين -الأولى أو الثانية- تشعُرُ بشيءٍ من الظلمِ أو التقصيرِ فيما يظهرُ لها، وقد يكونُ حقاً، لكن فيه مبالغةٌ دفعتها إليها الغيرةُ الشديدةُ، وهذا واقعٌ يعرفهُ اللبيبُ.



عداوة الزوجات والأولاد

ليس عداوة الزوجات كما يفهمها بعض الناس من الآية: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

عداوة بفضل ومُحادَّة، ولكنها كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «عداوة المحبة الصَّادَّة للآباء عن الهجرة والجهاد، وتعلُّم العلم، والصدقة وغير ذلك من أمور الدين وأعمال البر»^(١)، وهي فائدة عزيزة، وفي الحديث: «الْوَالِدُ مَبْخَلَةٌ، مَجْبَنَةٌ، مَجْهَلَةٌ، مَحْزَنَةٌ»^(٢).

وكم من زوجة كانت سبباً في ضياع دين زوجها، وأديه، بل لُبِّه!

وفي الحديث: «ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أذهبَ لعقلِ الرجلِ الحازمِ من إحداهن»^(٣)، أي: لا أحد أقدر على سلب عقول الرجال من المرأة.

قال هارون الرشيد رَحِمَهُ اللهُ:

مالي تطاوعني البرية كُلُّهَا وَأُطِيعُهُنَّ وَهَنَّ فِي عِصْيَانِي^(٤)



(١) «عُدَّة الصابرين» (٦٤).

(٢) أخرجه الحاكم (٤٧٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع - (١٩٩٠) عن الأسود بن خلف رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠) عن أبي سعيد الخدري رَحِمَهُ اللهُ.

(٤) التذكرة الحمدونية (٦/ ٢٢٦).

تعدُّ الزوجات من أعظم النعم

تأمل إلى هذا العرَضِ: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثَلِي وَتِلْكَ وَرُبِعٌ﴾ [النساء: ٣]، ما طاب لكم: أي: ما جادَ وحسنَ ولدًا!

فهذا عَرَضٌ بالنعْمِ.

وتأمل إلى الضمانِ: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِمَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢]

وهذا مُكَمَّلٌ وحارسٌ.

وتأمل إلى بعضِ النَّفْعِ: ﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ فهذا ترغيبٌ بذكرِ بعضِ النَّفْعِ، فلعلَّ من ينفَعُ اللهُ به لم يأتِ بَعْدُ، وأنتَ لا تعلمُ، فاغتنمِ عمرَكَ القصيرَ واقبلِ العَرَضَ، فإنك مأجورٌ على كل حالٍ حتى في نَيْلِ اللَّذَةِ ما احتسبتَ.

إذا لم يكن لله فعلك خالصًا فكل بناءٍ قد بنيت خرابٌ

* * *



وَصَفُ الْمَرْأَةِ النَّسَاءَ لَزَوْجِهَا

جاء في «صحيح البخاري»^(١) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تباشِرُ المرأةُ المرأةَ فتنَعَتْها لزوجها كأنه ينظرُ إليها».

ومعنى الحديث أنه لا يجوزُ للزوجةِ أو غيرِ الزوجةِ أن تصِفَ نعومةَ بدنِ النساءِ ولينةَ جَسَدِهِنَّ كأنه ينظرُ إليهنَّ فيتعلق قلبُه بواحدةٍ منهنَّ، فتقعُ الفتنةُ وأيُّ فتنةٍ أشدُّ من تعلقِ القلبِ بالنساءِ.

قال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «واعلم أنه إنما نُهي عن هذا؛ لأنَّ الرجلَ إذا سمِعَ وَصَفَ المرأةَ تحركتْ هِمَّتُهُ، واشتغلَ قلبُه، والنفسُ مولعةٌ بطلبِ الموصوفِ بالحُسنِ، وربما كانت الصفةُ داعيةً إلى تطلبِ الموصوفِ بالحُسنِ، وربما اللهجُ بالطلبِ ما يقاربُ العشق».

فَحَرِيٌّ بِالرَّجُلِ أَنْ يَزْجُرَ مِنْ تَصِفِ النِّسَاءِ أَمَامَهُ قَبْلَ أَنْ تَشَوِّفَ إِلَيْهِنَّ نَفْسُهُ، وَإِذَا كَانَ مِنْ يَصِفُ النِّسَاءَ صَدِيقًا فَعَلِيهِ أَنْ يَزْجُرَهُ فَإِلْمٌ يَنْزَجِرُ وَعَادٌ إِلَى وَصْفِ النِّسَاءِ وَجَبَّ عَلَيْهِ مَفَارِقَتُهُ.

* * *

(١) رواه البخاري (٤٩٤٢).

الفراغُ العاطفيُّ بين الزوجين

العاطفةُ: هي الميلُ، والشَّفَقَةُ، والحُنُو، والرِّقَّةُ، فهي بالنسبةِ للزوجين كالماءِ والهواءِ تُولَدُ أيامَ العَقْدِ، وتستوي على سُوقِها بدايةَ الزواجِ بما يُغْدِقُ عليها الزوجُ من الهدايا، والكلماتِ الطيبةِ، وبما يُدَثِّرُها من المودةِ والرحمةِ، وبما يَجِدُه من صَدَى أفعالِهِ لدى الزوجةِ بشكلٍ أعمقَ فتمطرُه بدفءٍ مشاعِرِها، ثم بعدَ الزواجِ يبدأُ العَدُّ التنازليُّ لهذه العاطفةِ الجميلةِ فتشعرُ الزوجةُ بفراغٍ عاطفيٍّ كبيرٍ ويشعرُ الزوجُ بأنه فقدَ شيئًا ما.

فيصدرُ من المرأةِ رَدَّةُ أفعالٍ بصورةِ استفزازٍ أو نكَدٍ كرسالةٍ تُشعرُ الزوجَ بمَلْيءٍ الفراغِ من بابِ «حَرَّكَ لَهَا حَوَارِيهَا تَحَنُّ» وربما هي قد لا تعرفُ ماذا ينقصُها، وقد تَحْتَلِقُ المعاذيرَ التي لا نهايةَ لها، والزوجُ يظُنُّ أَنَّ في خُلُقِها شيئًا قد ظهرَ، ومن هنا تبدأُ المشاكلُ فإذا لم يُسدِّ الفراغُ العاطفيُّ فقد تنتهي تلكَ المشاكلُ بالطلاقِ.

والعلاجُ سَهْلٌ يسيِّرُ وهو مَلْيءُ الفراغِ العاطفيِّ من قِبَلِ الزوجِ أولاً وسيَجِدُ صَدَى أفعالِهِ ولو بعدَ حينٍ؛ لأنَّ المرأةَ تَأْخُذُ لِتُعْطِي، وبالجملةِ فالإشباعُ العاطفيُّ متى رَحَلَ من حياةِ الزوجين رَحَلَ معه كُلُّ جميلٍ وأصبحت الحياةُ الزوجيةُ جَسَدًا لا رُوحَ لها.

صُورٌ مِنْ بَيْتِ النَّبُوءَةِ

جاء في «صحيح البخاري»^(١) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت لِعُرْوَةَ يا ابنِ أختي إِنَّ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أَوْقَدْتُ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارًا، فَقُلْتُ: يَا خَالَئُ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟، قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَسْقِينَا.

الشرح:

دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَزْوَاجُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مِنَ الْقِنَاعَةِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا فَمَا بَالُ نِسَاءِ زَمَانِنَا يُرْهَقْنَ أَزْوَاجَهُنَّ بِكَثْرَةِ الطَّلِبَاتِ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ أَسْقَطَ مِنْ حَسَابِهِ طَلْبًا وَاحِدًا مِنْ عَشْرَاتِ الطَّلِبَاتِ، وَمَنْ أَسْقَطَ أَكْثَرَهَا فَيَسْجُدُ بَرَكَانًا يَثُورُ مِنْ وَسَطِ بَيْتِهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ.

* * *

(١) رواه البخاري (٦٤٥٩).

النساء العنيدات فاشلاتُ

قرأتُ لبعضِ التربويين كلامًا واقعيًا أنقلُه باختصارٍ: النساءُ العنيداتُ هنَّ الفاشلاتُ في الزواجِ وفي علاقاتِهِنَّ حتى مع الأقاربِ؛ لأنَّ المرأةَ التي تفتقدُ الذكاءَ العاطفيَّ والمرونةَ في التعاملِ هي الأكثرُ فِشلاً في الزواجِ؛ لأنها ستدخلُ في شدِّ وجذبٍ، وتتبعُ صوتَ أنانيَّتِها لتغلبهُ وفي الحقيقةِ هي تفشلُ أمامَ عنادِ زوجها، وعنادِ مَنْ حولها؛ فالرجالُ يشتدونَّ عنادًا أمامَ الزوجةِ العنيدةِ، أو الأختِ العنيدةِ، ويلينون أمامَ المرأةِ الخاضعةِ.

المرأةُ العنيدةُ غيبيَّةٌ تظنُّ نفسها أنها حينما تتشبَّثُ برأيها وتقفُ أمامَ العاصفةِ ستفوزُ... وتَنسى أنها إن فازتْ تخسرُ قلبًا كان يُحبُّها وتدمرُ أطفالًا ما زالتْ عقولُهم لم تدركْ معنى الخرابِ بعدُ فما ذنبُهم هي تدمرُهم ومن ثمَّ لا تتبَّه إلا مؤخرًا.

* * *

رَقْصُ الْمَرْأَةِ لَزَوْجِهَا

متى طلبَ الزوجُ من زوجته أن ترقصَ له فمن حُسْنِ العشرة أن تُجيبَهُ إلى ذلك بل يحسُنُ أن ترقصَ له ولو لم يطلبْ ذلك منها؛ لأنَّ رَقْصَ المرأة لزوجها مرغوبٌ فيه عند غالبِ الناسِ إن لم نُقلْ كُلُّهم!

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «لا حَرَجَ على المرأة أن ترقصَ لزوجها، وهو أمرٌ قد يُدخِلُ حُبَّها في قلبه، ويهيِّجُه على جماعها، ويَمْتَعُه بما هو حلالٌ، ولتَنوِ الزوجة بهذا: التودُّدَ لزوجها، وكَفَّ بصره عن المحرمات؛ لأنَّ بعضَ الأزواجِ يَقَعُ في معصيةِ النظرِ المحرَّمِ للراقصاتِ، وقد يكونُ إشباعُ نَهْمَتِهِ بالحلالِ قاطعاً لمعاصيهِ تلك من النظرِ المحرَّمِ، وهذا يجوزُ بشروطٍ منها:

١. عدمُ مشاهدةِ أحدٍ من أولادِها لها؛ لأنَّ ذلك قد يُوَثِّرُ سلباً على تعظيمهم لوالديهم، وليسَ كُلُّ ما يُباحُ بين الزوجين يُفَعَّلُ أمامَ الأولادِ.
٢. أن لا يصاحبَ الرقصَ آلاتٌ موسيقيةٌ ومعازفٌ.
٣. أن لا تَنظُرَ المرأةُ إلى صُورٍ وأفلامٍ محرَّمةٍ لكي تتعلَّمَ منهم الرقصَ؛ حيثُ يحُرِّمُ عليها النظرُ إلى هؤلاءِ الفاسقاتِ، وعوراتِهِنَّ، ولتَفَعَّلَ ما تستطيعُه مما تعلَّمُه من قديمِ موروثها، أو مما يخرُجُ منها من غيرِ حاجةٍ تعليمٍ»^(١).

* * *

(١) تكملة فتاوى الموقع للشيخ محمد بن صالح العثيمين باب (١٣٤١٣).



الولد سرُّ أبيه

«الولد سرُّ أبيه»^(١) هذا مثلٌ يُضربُ في حُسنِ التربية، وأن بصمة الأب والأم مطبوعةٌ على الولدِ فالثناءُ عليه متوجِّهٌ للوالدين أولاً، ومثله: «جری فلانٌ على أعراقِ آبائه» إذا أشبههم في مكارم الأخلاق، ومثله: «على أعراقها تجري الجياد»^(٢)، ومثله: «من أشبه أباه فما ظلم»^(٣).

والمقصودُ أنه متى رأيتَ أطفالاً مؤدِّبين صالحين، ترفعُ كلماتهم عن ساقطِ القول، وبذِيءِ الكلام، فاعلم أن وراءهم منزلاً طيباً مباركاً، وولاءً أمرٌ يُحسِنون تربيةً أولادهم إحساناً يظهرون في صورة أولادهم.

خَيْرُ مَا وَرَثَ الرَّجَالُ بَنِيهِمْ أَدَبٌ صَالِحٌ وَحُسْنُ الثَّنَاءِ
ذَاكَ خَيْرٌ مِنَ الدَّنَانِيرِ وَالْأَوْ رَاقٍ فِي يَوْمِ شِدَّةٍ أَوْ رِخَاءِ^(٤)

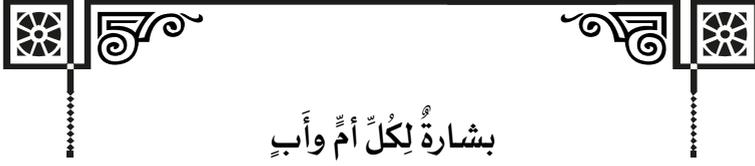
* * *

(١) صُبْحُ الْأَعْمَشِيِّ فِي صِنَاعَةِ الْإِنشَاءِ (١٥ / ٦٢١).

(٢) تَمَمَةُ الْيَتِيمَةِ (٣ / ٤٥).

(٣) التذكرة الحمدونية (٢ / ٢٥٤).

(٤) موسوعة الشعر الإسلامي (١ / ٢٧).



أبشُرُ أيها الأب، وأبشِري أيها الأم، فأبشِري عمل صالح يعملُهُ ولدُكما -الولدُ يَشْمَلُ الذَكَرَ والأنثى- فإنَّ لكمَا مِثْلَ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ-؛ لِحَدِيثِ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ» (١).

قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ تحتَ هذا الحديثِ: «ما يفعلُهُ الولدُ الصالحُ من الأعمالِ الصَّالِحَةِ، فإنَّ لوالديه مِثْلَ أَجْرِهِ، دُونَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّ الْوَلَدَ مِنْ سَعْيِهِمَا وَكَسْبِهِمَا» (٢).

ها هو ولدُكما على الفطرة، فعلماه القرآن، والقرآن سيعلمُهُ كلُّ شيءٍ كما قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «والموفق من اغتنم موسمَ البذرِ قبلَ فواتِهِ».

* * *

(١) أخرجه أبو داودَ (٣٥٢٨)، وصحَّحه الألبانيُّ في «المشكاة» (٢٧٧٠)، و«صحيح الجامع» (٢٢٠٨) عن عائشة رَحِمَهُمُ اللهُ.

(٢) «أحكام الجنائز» (١٧١).

الدعاء على الأولاد

رأيتُ كثيرًا من الناسِ إذا غَضِبَ أحدهم على ولده، رَفَعَ يديه بالدعاءِ عليه، وهذا من الخَلَلِ الفادِحِ، وربَّما كان هذا الدعاءُ سببًا في شقائِهِ، وفي «الصحيح»: «لا تدعوا على أنفسِكُم، ولا تدعوا على أولادِكُم لا توافقوا من الله ساعةً يُسألُ فيها عطاءً فيستَجيبَ لكم»^(١).

قال العلماءُ: النهي للتحريم.

وقال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: «في هذا دليلٌ أنَّ دعاءَ الغضبانِ قد يُجابُ إذا صادفَ ساعةً إجابةً»^(٢).

والدعاءُ على الأولادِ لا يزيدُهُم إلا فسادًا وعقوقًا وعنادًا، فقد جاء رجلٌ إلى ابنِ المباركِ وشكى إليه عقوقَ ولده. فسألهُ ابنُ المباركِ: هل دعوتَ عليه؟! قال: نعم. قال: اذهبْ فقد أفسدتهُ، ولو دعوتَ له كان خيرًا لك^(٣).

* * *

(١) رواه مسلمٌ (٢٠٠٦).

(٢) جامع العلوم (١/ ٣٧٣).

(٣) إتحافُ السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٦/ ٣١٨).

تداخل أحد الوالدين فيما يخص الآخر

الأب له وظيفة لا تقوم بها الأم، والأم كذلك، ومتى وقف أحد الوالدين حجر عثرة في طريق قيام الآخر بوظيفته اختلت التربية، وغالبًا ما تميل الأم إلى الدلال من غير قصد؛ بسبب عاطفتها، وربما بدا لها أن أسلوب الإغراء أنفع، وما علمت أن بعض الأطفال يكون ذكيًا فيظل يستغلها عاطفيًا، وربما مارس بعض التصرفات التي تنهأ عنها إن لم تتحقق مطالبه، وقد يجري من الأب ما يحصل من الأم لكن بشكل أقل. وبعض الأمهات لا يخوفن أولادهن من الأب ولا يمكن لهيبته في نفوسهم وهن بهذا الصنيع يجنين على أولادهن يشعرنهم أنه ليس لهم زمام يرمهم عمًا لا يحسن ولا يجمل، فليصنعوا ما شاءوا وقد لا يبلغن الأب عن الأخطاء التي تستلزم قيام الأب بوظيفته لاعتقادهن الخاطيء أن الولد سوف يتأثر من تعنيف والده له، بل بعضهن بمجرد علم الأب ببعض التصرفات وقيامه بوظيفته يجعلن من أنفسهن محاميات، وهذه الطريقة مفسدة للأولاد أي مفسدة، وقد لا يتنبه لها إلا بعد أن يقع الفأس على الرأس.

* * *

التربية بالمدح

الناظرُ في كتابِ اللهِ يجدُ أن الله ﷻ مدَحَ بعضَ عبادِهِ، والنبيُّ ﷺ مدَحَ كثيراً من الصحابةِ، وكان بعضهم يرى مدْحَهُ له خيراً من حُمْرِ النَّعَمِ، فعندما سَمِعَ عمرو بن تغلبَ مدْحَهُ له، قال: «فوالله، ما أُحِبُّ أن لي بكلماتِ رسولِ اللهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ»^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قد جاءتْ أحاديثُ كثيرةٌ في «الصحيحين» بالمدحِ في الوجهِ قال العلماءُ وطُرُقُ الجمعِ بينها أن النهيَ محمولٌ على المجازفةِ في المدحِ والزيادةِ في الأوصافِ أو على من يُخافُ عليه فتنةٌ من إعجابٍ أو نحوه إذا سمعَ المدحَ، وأما من لا يُخافُ عليه ذلك لكمالِ تقواه، ورسوخِ عقلِهِ ومعرفةِ فلا نهيَ في مدحِهِ في وجهِهِ إذا لم يكنْ فيه مجازفةٌ بل إن كان يحصلُ بذلك مصلحةٌ كنشطةٍ للخيرِ والازديادِ منه أو الدوامِ عليه أو الاقتداءِ به كان مستحباً والله أعلم»^(٢).

* * *

(١) رواه البخاريُّ (٣١٤٥) عن عمرو بن تغلبٍ رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨ / ١٢٦).

عداوة الأقارب صعبة

جاء في «صحيح مسلم»^(١) أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابةً أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال: لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الممل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم، ما دمت على ذلك».

فقوله: فكأنما تسفهم الممل أي: تُطعمهم الرماد الحارّ.

فدلّ الحديث على أن ما قام به الرجل هي من أخلاق الإسلام بدليل إقرار النبي ﷺ وتبشيريه أنه لا يزال معه من الله ظهير أي نصير مادام متمسكاً بتلك الأخلاق.

فليحذر المرء من عداوة الأقارب؛ لأنها تبدأ هيئةً ثم تصير من مستحكمةً والسبب كما قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ في «صيده»^(٢): «إن كل واحدٍ من الأقارب يكره أن يفوقه قريبه فيقع التحاسد؛ فينغي لمن فضل على أقاربه أن يتواضع لهم، ويرفعهم جهده، ويرفق بهم، لعله يسلم».

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهند

* * *

(١) رواه مسلم (٢٥٥٨).

(٢) صيد الخاطر (٤٧٧).



التَّبَسُّمُ

التَّبَسُّمُ هو: انفراجُ الفَمِ بلا صَوْتٍ، ويفترقُ عن الضَّحِكِ: بَأَنَّ الضَّحِكَ انبساطُ الوجهِ حتى تظهرَ الأسنانُ مع صوتٍ خفيٍّ، وإن كان فيه صوتٌ يُسمَعُ من بعيد فهو القَهْقَهَةُ.

والتَّبَسُّمُ أَكْثَرُ ضَحِكِ الأنبياءِ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩].

وفي «الترمذي»: «ما كان ضَحِكُ رسولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا تَبَسُّمًا» (١).

والتَّبَسُّمُ من مكارمِ الأخلاقِ قالَ عبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ: «ما رأيتُ أحدًا أكثرَ تَبَسُّمًا من رسولِ اللَّهِ ﷺ» (٢).

وقال جريرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَطُّ إِلَّا تَبَسَّمَ في وَجْهِ» (٣).

بل البَسْمَةُ صدقةٌ يُطْفِئُ برُدِّ ثَلَجِهَا لَطَى العداوةِ: «تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صدقةٌ» (٤).

قال أستاذنا:

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٤٢)، وصحَّحهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٤٧٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٤١)، وصحَّحهُ الألبانيُّ في مختصرِ الشمائلِ (١٩٤).

(٣) رواه البخاريُّ (٢٨٧١)، ومسلمٌ (٣٤٧٥).

(٤) أخرجه الترمذي (١٩٥٦)، وذكرهُ الألبانيُّ في «الصحيحة» (٥٧٢).

وزرعتُ في قلبي العليلِ وِدادا
لِأَسْأَلُ من أضلّاعِهِ الأحقادا

بتبسمي أطفأتُ أَلْفَ ضغينةٍ
مُتَجَهِّمُ القَسَماتِ كم لاطفتُهُ

* * *



التنادي بأحب الأسماء

جاء في «الصحيحين»^(١) عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاء يقول: يا أبا عمير ما فعل النغير^(٢): فدل الحديث أن التنادي بأحب الأسماء والكنية الحسنة من مكارم الأخلاق، دل ذلك ما استهل به أنس حديثه بقوله: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً» ثم ذكر أنه كان ينادي أصحابه بأحب الأسماء إليهم، حتى الصغار كان يكنيهم أحياناً، وأنه لا يلزم من جواز التكنية أن يكون له ولد، وأن الكنية نوع تكثير، وتفخيم للمكني، وإكراماً له، كما قيل:

أكنيه حين أناديه لأكرمه ولا ألقبه، ما أسوأ اللقبا
كذاك أدبت حتى صار من خلقي إني وجدت ملاك الشيمة الأدبا^(٣)

* * *

(١) رواه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٠).

(٢) النغير: تصغير نغر واحد النغران، وهو طائر المنقار يشبه العصفور كان يلعب به فمات فحزن عليه

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبله، ويقول له ذلك مازحاً.

(٣) ربيع الأبرار (٢/ ٤٨١).



طيبُ الرائحةِ

جاء في «الصحيحين» قال أنسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما مَسَسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا شَمَمْتُ رِيحًا قَطُّ أَطِيبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرَفِ النَّبِيِّ ﷺ، وفي روايةٍ «وَلَا شَمَمْتُ مِسَكَةً أَوْ عْبِيرَةً أَطِيبَ رَائِحَةً مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (١).

وفي «صحيح مسلم» (٢) عن جابر بنِ سَمُرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَسَحَ خَدَّهُ، قَالَ: «فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ» (٣).

فدَلَّ حَدِيثُ أَنَسٍ وَحَدِيثُ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ طِيبِ الرَّائِحَةِ وَإِنْ لَمْ يَمَسَّ طِيبًا، فَقَدْ كَانَ يُحِبُّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءَ وَالطِّيبَ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِالتَّأْسِي بِهِ ﷺ هُمُ أَتْبَاعُهُ، فَالطِّيبُ مِنْ حُسْنِ السَّمْتِ وَمِنْ أَسْبَابِ انْشِرَاحِ الصَّدْرِ، وَمِيلِ الْقُلُوبِ لِصَاحِبِهِ.

قال الشاعر:

الطَّيْبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طِيبُهُ وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ

* * *

(١) رواه البخاري (١٩٧٣، ٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠).

(٢) رواه مسلم (٢٣٢٩).

(٣) جُؤْنَةُ عَطَّارٍ: هُوَ الْوَعَاءُ الَّذِي يَضَعُ فِيهِ الطَّيْبُ.



حُسْنُ السَّمْتِ

حُسْنُ السَّمْتِ هو حُسْنُ المَظْهَرِ الخَارِجِيِّ لِلإنْسَانِ من سُنِّيَةِ اللبَاسِ ونِظَافَتِهِ، وتهذيبِ الحَدِيثِ، ولزومِ الصَمْتِ إلا من الخَيْرِ، والسكينةِ والوقارِ، وحسنِ السيرةِ العَمَلِيَّةِ بينَ النَّاسِ بحيثِ يَسْتَطِيعُ مَنْ يَرَاهُ أو يَسْمَعُهُ أَنْ يَنْسِبَهُ لِأَهْلِ الخَيْرِ والصَّلَاحِ.

وهو جزءٌ من أجزاءِ النبوَّةِ؛ لحديثِ: «إنَّ الهَدْيَ الصَّالِحَ والسَّمْتَ الصَّالِحَ والاقتِصَادَ جزءٌ من خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جزءاً من النبوَّةِ»^(١).

وهو -أيضاً- خُلِقَ من أخلاقِ الأنبياءِ وأتباعِهِم، قال حذيفة: «إنَّ أشبَهَ النَّاسِ دَلًّا وسمتًا وهدياً برسولِ اللَّهِ ﷺ لابنُ أمِّ عبدٍ»^(٢).

وصاحبِ السَّمْتِ الحَسَنِ تراهُ مَهيبًا مُبجَّلاً أينما حلَّ وارتحلَّ.

* * *

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٦)، وأبو داود (٤٧٧٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٩٣).

(٢) رواه البخاري (٥٧٤٦).

القولُ الحَسَنُ

كرائمِ الناسِ إذا حَدَّثُوا غيرَهُم، فإنهم يَنْتَقُونَ أطيبَ الحديثِ كما يَنْتَقُونَ أطيبَ الثمارِ، ولثامِ الناسِ يُلقُونَ الكلامَ.

على عواهنه بلا زمام ولا خِطامٍ، وفي التنزيلِ: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤].

أليس في تلك الآياتِ وغيرها حثٌّ على القولِ الحَسَنِ الذي يَنْتَفِعُ به السامعُ، ويرفَعُ من قَدْرِ المتكلمِ، ويقمَعُ الشيطانَ ويسدُّ منافذَهُ.

و كائِنْ ترى من صامتٍ لك مُعْجَبٍ زيادَتُهُ أو نقصُهُ في التكلّمِ
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ فلم يَبْقَ إلا صورةُ اللحمِ والدمِ^(١)

* * *

(١) التذكرة الحمدونية (٧/ ٦٣).



الهدية

الهدية ما بعثته لغيرك إكرامًا.

والفرق بينها وبين الرشوة: أن الرشوة تُدفع من غير طيبِ نفسٍ وتورثُ القطيعةَ، وتوقعُ العداوةَ.

والهدية تُدفعُ بطيبِ نفسٍ، وتؤلفُ القلوبَ، وتورثُ المحبةَ؛ لحديث: «تهادوا تحابُّوا»^(١).

وكرامُ النَّاسِ يقبلون الهديةَ، سواءً أعظمتُ أم حَقَرْت؛ لحديث: «لو أُهدي إليَّ ذِرَاعٌ أو كِرَاعٌ لَقَبِلْتُ»^(٢).

كما يُثيبون عليها لحديث: «كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يقبلُ الهديةَ، ويثيبُ عليها»^(٣).

ولا يرُدُّون الهديةَ لحديث: «لا تحقرنَّ جارةً لجارتها ولو فرسنَ شاةٍ»^(٤).

(١) أخرجه البخاريُّ في الأدبِ المفردِ (٥٩٤)، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٢٠٠٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاريُّ (٢٥٦٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاريُّ (٢٥٨٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) رواه البخاريُّ (٢٥٦٦)، ومسلمٌ (١٠٣٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والهديةُ هي السُّحْرُ الحلالُ الذي يقضي على سخائم الصدورِ.

إِنَّ الْهَدِيَّةَ حَلْوَةٌ كَالسَّحْرِ تَجْتَلِبُ الْقُلُوبَا
تُذْنِي الْبَعِيدَ مِنَ الْهَوَى حَتَّى تُصَيِّرَهُ قَرِيبَا
وَتُعِيدُ مُضْطَغِنَ الْعَدَا وَبَعْدَ نَفَرْتِهِ حَيِّبَا (١)

* * *

(١) أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ لِلشَّعَالِيِّ (٩٨).



الأخلاق

الأخلاقُ كما عرفها الماوردي رَحِمَهُ اللهُ ما يأخذُ به الإنسانُ نفسهُ من الآدابِ
وسُمِّيتْ بذلك؛ لأنَّه يصيرُ كالخَلْقَةِ فيه.

وهو في بعضِ الناسِ طبعٌ، وفي بعضِهِم تطبعٌ، وكمالُ الدينِ بعدَ التوحيدِ في
حُسْنِ الخُلُقِ؛ لحديثِ: «أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهُم خُلُقًا» (١).

وتنالُ بالتخلُّقِ بأخلاقِ القرآنِ فقد سئلتُ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن خُلُقِ رسولِ اللهِ ﷺ
فقالَتْ: «كان خُلُقُهُ القرآنُ» (٢).

كما تُنالُ بالتأسيِّ به ﷺ فقد جَمَعَ اللهُ فيه الفضائلَ بأسرها ونوّهَ بذكرِ ما
يَتَحَلَّى به، فقال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

يكفيكَ عن كُلِّ مدحٍ مدحِ خالِقِهِ واقراءُ برَبِّكَ مَبْدَأَ سُورَةِ الْقَلَمِ

ومن رُزِقَ الأخلاقَ فقد رُزِقَ خيرًا كثيرًا، وترأسَ وسادَ، وأحبَّه العبادُ.

فإذا رُزِقَتْ خَلِيقَةً محمودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأرزاقِ

فالناسُ هذا حَظُّه مالٌ وذا علمٌ، وذاك مكارمُ الأخلاقِ

* * *

(١) أخرجه ابنُ ماجه (٤٢٥٩)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١٥١٥).

(٢) رواه مسلمٌ (٧٤٦).

الصَّبْرُ سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ

الصَّبْرُ هُوَ الْوَقُوفُ مَعَ الْبَلَاءِ بِحُسْنِ الْأَدَبِ (١).

وأخبركُ أني نظرتُ في كتبِ الأخلاقِ عشرينَ حِجَّةً، فوجدتُ أنه ما من خُلُقٍ فاضلٍ إلا وللصَّبْرِ عليه مِنَّةٌ، ثم وجدتُ ابنَ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ لَهُ فَضْلُ السَّبْقِ، فقال: «الصَّبْرُ سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ، وبه ترتبطُ مقاماتُ الدينِ، فما من خُلُقٍ فاضلٍ إِلَّا يَمُرُّ بِقَنْطَرَةٍ مِنَ الصَّبْرِ، وإن تحوَّلَ إلى اسمٍ آخرَ، فإن كان الصَّبْرُ عَنْ شَهْوَةٍ مُحَرَّمَةٍ سُمِّيَ عَفَّةً، وإن كانَ عَنْ فُضُولِ عِشْقِ سُمِّيَ زُهْدًا، وإن كانَ عن دواعي غَضَبٍ سُمِّيَ حِلْمًا، وإن كانَ صَبْرًا عن دواعي الفِرَارِ والهَرَبِ سُمِّيَ شِجَاعَةً، وإن كانَ عن دواعي الانتقامِ سُمِّيَ عَفْوًا، وإن كانَ عن إجابةِ الإِمْسَاكِ والبُخْلِ سُمِّيَ جُودًا.

وهكذا بقيَّةُ الأخلاقِ، فَلَهُ عن كُلِّ فِعْلٍ وتركِ اسْمٍ يَخْصُهُ بِحَسَبِ متعلِّقِهِ، والاسمُ الجامعُ لذلكِ كُلِّهِ (الصَّبْرُ)، فَأَكْرَمَ بِهِ من خُلُقٍ!، وما أوسعَ معناه، وأعظمَ حقيقتهُ!» (٢).

فيا صاحبي إن رُمْتَ (٣) أن تكسبَ العُلَى وترقى إلى العُلَيَا (٤) غَيْرَ مُزَاخِمٍ

(١) عدة الصابرين (٢٩).

(٢) المرجع السابق (٢٧ - ٢٨).

(٣) رُمْتَ: طَلَبْتَ.

(٤) العُلَيَا: كُلُّ مَكَانٍ مُشْرِفٍ.

عليك بحُسن الصَّبْرِ في كُلِّ حالةٍ فما صابراً فيما يرومُ بنادم^(١)

* * *

(١) جواهرُ الأدبِ (٧١١).



الحياء

الحياء: هو انقباض النفس من شيء وتركُه حَذَرًا من اللوم فيه.
والفرق بين الحياء والخجل: أن الخجل غمٌّ يظهر بالوجه مما كان، والحياء:
ارتداعٌ بقوة الحياء مما يكون.

والحياء من صفات الله؛ لحديث: «إن ربكم حيي كريم»^(١).
والله يحبُّ من اتَّصف بصفاته، التي يحسُن من المخلوق أن يتَّصف بمقتضاها
بخلاف الصفات المختصة به ﷺ كالخلاق، والرزاق، والإله.
ومن أخلاق النبي ﷺ ففي البخاري: «كان النبي ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في
خدرها»^(٢).

ونحن متعبدون بالتأسي به ﷺ .
والحياء سادة كل خير ففي الصحيح: «الحياء خير كله، ومغلاق لكل شر»،
ففي البخاري: «.... إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٧٠).

(٢) رواه البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٣) رواه البخاري (٥٧٦٩).

حياءك فاحفظه عليك فإنما
يدلُّ على فضلِ الكريمِ حياؤه
إذا قلَّ ماءُ الوجهِ قلَّ حياؤه
ولا خيرَ في وجهٍ إذا قلَّ ماؤه^(١)

* * *

(١) زهرة الأكم (١/ ١٧٤).



القناعة

أَقْنَعُ تُجَلِّ، وَلَا تَطْمَعُ تُدَلِّ، وَلَا تَعْجَلُ تَنْزِلُ، وَلَا تَعْتَرِّ بِالْمَهَلِ (١)

القناعة: هي الرضا بما قدر الله للعبد من الرزق، وعدم الطمع، وهي: الحياة الطيبة: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

والرزق الحسن: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [الحج: ٥٨].

والفوز في الدارين كما في «الصحيح»: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه» (٢).

فالله هو الذي رزقك على قدر حاجتك، حتى لا تُفتنَ فيكثرة همك، مع ما في القناعة من عزة النفس، وراحة البال، وصيانة الوجه، وطيب العيش.

إن القناعة من يحل بساحتها لا يلتق في ظلها همًا يُورقُه (٣)

* * *

(١) الكشكول (١ / ٣٠٣).

(٢) رواه مسلم (١٠٥٤).

(٣) تيممة اليتيمة (٢ / ٧٠).



التواضع

التواضعُ: هو رضا الإنسانِ بمنزلةِ دُونَ ما يستحقُّهُ، وهو: وَسَطٌ بين الكبرِ والضَّعةِ؛ فالضَّعةُ: وُضِعَ الإنسانِ نَفْسَهُ مَكَانًا يُزِرِّي بِهِ، والكبرُ: رَفَعُ نَفْسِهِ فَوْقَ قَدْرِهِ.

وينقسمُ إلى محمودٍ وهو: تَرَكَ التَّطَاوُلَ على عبادِ اللَّهِ، ومذمومٍ وهو: تواضعُ المرءِ لذي دُنْيَا رَغْبَةً في دُنْيَاهِ، وَأَمَّا تواضعُهُ لذي دُنْيَا ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ، وتَأْلِيفًا لقلْبِهِ فمحمودٌ.

فالتواضعُ من صفاتِ المؤمنين: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وفي «الصحيح»: «وما تواضعَ أحدٌ لله إلا رَفَعَهُ اللهُ»^(١).

وحَسْبُهُ به؛ فإذا رَفَعَكَ اللهُ من الذي يَضَعُكَ؟!!

تواضعُ تَكُنُّ كالنجمِ لآخِ لناظِرٍ على صفحاتِ الماءِ وهو رَفِيعٌ
ولاتَكُ كالدخانِ يعلو بنفسه إلى طبقاتِ الجوّ وهو وَضِيعٌ^(٢)

* * *

(١) رواه مسلمٌ (٢٥٨٨).

(٢) غررُ الخصائصِ الواضحةِ (٢٥٣).



الوفاء

إن الوفاء على الكريم فريضةٌ واللؤم مقرونٌ بذي الإخلافِ
الوفاء: هو صدقُ اللسانِ والفعلِ معاً، خلافاً للصدقِ فلا يكونُ إلا باللسانِ
فقط.

فَمَنْ لَزِمَ الْوَفَاءَ فَاحَ عَيْبُ فَضْلِهِ، وَدَلَّلَ عَلَى شَرَفِ عُنْصُرِهِ، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:
«الوفاءُ من أقوى الدلائلِ وأوضح البراهينِ على طيبِ الأصلِ، وشرفِ العُنْصُرِ...
لا يحولُ عنه إلا خبيثُ المحتدِّ، لا خلاقَ له، ولا خيرَ عنده، وضدُّه العَدْرُ»^(١).

وهو من صفاتِ المنافقين؛ لحديث: «أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً،
ومن كانت فيه خصلةٌ منهنَّ كانت فيه خصلةٌ من النفاقِ، حتى يدعَها: إذا أوْتِمِنَ
خان، وإذا حدَّثَ كذَّبَ، وإذا عاهدَ عَدَرَ، وإذا خاصَمَ فَجَرَ»^(٢).

وإذا جاء يومُ القيامةِ تكونُ له علامةٌ يُشهرُ بها؛ لحديث: «إذا جمعَ اللهُ الأولينَ
والآخرينَ يومَ القيامةِ يُرْفَعُ لكلِّ غادرٍ لواءٌ فيقالُ: هذه عَدْرَةُ فلانِ بنِ فلانٍ»^(٣).

إذا قُلْتَ في شيءٍ (نَعَمْ) فَأَتِمَّهُ فَإِنَّ (نَعَمْ) دَيْنٌ عَلَى الْحُرِّ وَاجِبٌ

(١) طوقُ الحمامة (٢٠٥) بتصرفٍ.

(٢) رواه البخاريُّ (٣٤)، ومسلمٌ (٥٨).

(٣) رواه مسلمٌ (١٧٣٥).

وإِلَّا فَقُلْ لَا تَسْتَرْحِ وَتُرْحِ بِهَا لِيَسَاءَ يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ (١)

* * *



الوقارُ

الوقارُ: هو الهدوءُ، وسكونُ الأطرافِ، وقلةُ الحركةِ في المجلسِ، ومفارقةُ الطَّيْشِ عندَ الغَضَبِ، فهو لَعَمْرِي ثوبٌ نفيسٌ، لو كان يُباعُ ثم اشتراه الناسُ بِشَطْرِ أموالهم لكانَ قليلاً؛ لأنَّ لابسَهُ محبوبٌ مُهابٌ، ويُدْرِكُ من معاني العزِّ والشرفِ، والمكانةِ ما لا يُدْرِكُهُ غيرُهُ. فكيفَ وهو زهيدٌ لا يُكَلِّفُكَ غيرَ ارتيادِ حياضِ الأدبِ، ومجالسةِ أهلِهِ.

والوقارُ من صفاتِ عبادِ اللهِ المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. أي: بسكينةٍ ووقارٍ.

وعن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «ما رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضاحِكًا حتى ترى منه لهواتَهُ، وإنما كان يتبسَّمُ»^(١).

قال ابنُ عثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «يعني: ليس يضحكُ ضحكًا فاحشًا يُفْتَحُ فَمُهُ حتى تبدو لهواتُهُ ولكنه ﷺ كان يتبسَّمُ أو يضحكُ حتى تبدو نواجذُهُ، أو تبدو أنيابهُ، وهذا من وقارِ النبيِّ ﷺ»^(٢)، وحشًا ﷺ على لزومِ السكينةِ والوقارِ حتى عندَ الذهابِ إلى الصلاةِ «إذا سمعتمُ الإقامةَ فامشوا وعليكم السكينةُ والوقارُ»^(٣).

(١) رواه البخاريُّ (٥٧٤١)، ومسلمٌ (٨٩٩).

(٢) شرحُ رياضِ الصالحين (٤ / ٩٢).

(٣) رواه البخاريُّ (٦٣٥)، ومسلمٌ (٦٠٢) واللفظُ لَهُ.

والصحابَةُ خَيْرٌ مَنْ تَحَلَّى بِالْوَقَارِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ عُمَرُ: «كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَوْمَ
السَّقِيفَةِ أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ»^(١). وَعَلَى هَذَا مَضَى السَّلْفُ يَعْجُبُ وَقَارُهُمْ.

قَالَ رَجُلٌ يَصِفُ مَالِكًا:

يَدْعُ الْجَوَابَ فَلَا يِرَاجِعُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُونَ نَوَاسِئُ الْأَذْقَانِ
نُورُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى فَهُوَ الْمَهِيْبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

* * *

(١) رواه البخاري (٦٨٣٠).



المُدَارَةُ

المداراةُ: هي الرفقُ بالجاهلِ أو العدوِّ، وعدمُ التصريحِ بما فيه من العيوبِ بقصدِ السلامةِ من شرِّه.

وهي ضدُّ المداهنةِ، والفرقُ بينهما -كما في «الروح»-: «أنَّ المُداريَ يَتَلَطَّفُ بصاحبهِ حتى يستخرجَ منه الحقَّ، أو يردِّه عن الباطلِ. والمداهنُ يتلطفُ به ليُقرِّه على باطله».

فالمداراةُ لأهلِ الإيمانِ، والمداهنةُ لأهلِ النفاقِ.

والمداراةُ خُلِّقَ من أخلاقِ المؤمنين. جاء في «البخاريِّ»: «استأذَنَ رجلٌ على رسولِ اللهِ ﷺ فقال: «أئذَنوا له، بئسَ أخو العشيرة!»^(١) فلما دَخَلَ أَلانَ له الكلامَ، قالت عائشةُ: قلتَ الذي قلتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ له الكلامَ؟! قال: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ من تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءً فُحِشِهِ».

* * *

(١) رواه البخاريُّ (٥٧٠٧)، ومسلمٌ (٢٥٩١).



التَّغَاوُلُ

التَّغَاوُلُ: هو التظاهرُ بالعِفلةِ في حقوقِكَ دونَ حَقِّ اللهِ، فهو خُلُقٌ من أخلاقِ الكِرامِ، وفي التنزيلِ: ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنِّ بَعْضٌ﴾ [التحرِيمُ: ٣]، أي: عاتبَ على بعضٍ وتغافلَ عن بعضٍ على عادةِ الكِرامِ.

وفي «البخاريِّ» قالت إحداهُنَّ: «زوجي إذا دَخَلَ فَهْدٌ وإذا خَرَجَ أَسَدٌ، ولا يُسألُ عما عَهِدَ»^(١)، فقد وَصَفَتُهُ بالتَّغَاوُلِ وهو من صفاتِ الفَهْدِ.

ويَحْسُنُ التَّغَاوُلُ مع كُلِّ أَحَدٍ سَيِّمًا الزوجةَ؛ ففي «الصحيحِ»: «لا يُفْرِكُ مؤمِنٌ مؤمنةً إذا كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ»^(٢).

ومنَ لَزِمَ التَّغَاوُلَ كانَ في ذِمَّةِ الحَمْدِ والعافيةِ، فعن الخِزاعيِّ سَمِعْتُ ابنَ زائدةٍ يقولُ: العافيةُ عَشْرَةٌ أَجْزَاءٍ تَسَعَةٌ منها في التَّغَاوُلِ، قال: فَحَدَّثْتُ به أحمدَ بنَ حَنْبَلٍ فقال: العافيةُ عشرةُ أَجْزَاءٍ كُلُّها في التَّغَاوُلِ»^(٣).

وتغافلَ عن أمورٍ؛ إنه لم يَفُزْ بالحَمْدِ إلا مَنْ غَفَلَ^(٤)

* * *

(١) رواه البخاريُّ (٥١٨٩)، ومسلمٌ (٢٤٤٨) واللفظُ لَهُ.

(٢) رواه مسلمٌ (١٤٦٩).

(٣) أدبُ الدنيا والدين (١٨٠).

(٤) الكشكولُ (١/ ٢٣٦).



الرفق

لو سار ألف مُدَجِّجٍ في حاجةٍ لم يقضِها إلا الذي يترَفَّقُ (١)
الرفق: هو لينُ الجانبِ، ولطافةُ الفعلِ، وصدُّه العُنفُ، فمن أُعطي الرفقَ
والخلقَ فقد أُعطيَ الخيرَ كُلَّهُ والراحةَ بتمامها.

قال الله ﷻ لموسى وهارونَ وقد أرسلهما إلى فرعونَ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا
لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.

وعندما سَمِعَ النبي ﷺ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تقولَ لليهودِ: «بل عليكم السامُ واللعنةُ»
قال: «يا عائشةُ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ الرفقَ في الأمرِ كُلِّهِ» (٢).

فإذا كانت الآيةُ قد نزلتْ في حَقِّ رجلٍ من أَكْفَرِ خَلْقِ اللهِ واستحقَّ الكلمةَ
الليِّنةَ.

وإذا كان الحديثُ قد وَرَدَ في حَقِّ المغضوبِ عليهم أفلا يستحقُّ أخوك
المسلمُ هذا اللينَ والرفقَ؟!
قال أستاذنا:

إذا خَلتَ أن الأمرَ يأتي بغِلظةٍ فإتيانُهُ بالرفقِ أولى وأحسنُ

(١) روضةُ العقلاء (١٣٢).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٩٢٧) واللفظُ له، ومسلمٌ (٢١٦٥).

فكم من أمورٍ فاتتها الرفقُ صَعْبَةً ولكنها عند الترفُّقِ أهونُ

* * *



الهيبة

الهيبةُ: هي المخافةُ والإجلالُ، وبينها وبين الكِبْرِ خَيْطٌ.

قال ابنُ القيم: «المهابةُ: أثْرُ امتلاءِ القلبِ بمهابةِ الربِّ ومحَبَّتِهِ... والكبرُ: هو أثْرُ العُجْبِ في قلبٍ مملوءٍ جهلاً وظلماتٍ» (١).

وتنالُ بالتأسِّي بالأسوةِ الحسنةِ، فقد كان عظيمَ الهيبةِ، ففي الحديثِ: «أتى النبيُّ ﷺ رجلٌ فكلَّمَهُ، فأخَذَتْهُ الرعدةُ، فقال: هَوْنٌ عليك، فإني لستُ بمَلِكٍ، إنما أنا ابنُ امرأةٍ من قريشٍ كانت تأكلُ القديدَ» (٢).

وكان الصحابةُ لا يملئون العيونَ منه؛ هيبةٌ له ففي «الصحيح» عن ابنِ العاصِ: «لو سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ ما أَطَقْتُ؛ لأنِّي لم أكنُ أَملاً عيني منه» (٣).

يُغْضِي حياءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ (٤)

* * *

(١) الروح (٢٣٥).

(٢) أخرجه ابنُ ماجه (٣٣١٢)، وصحَّحهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٧٠٥٢) عن أبي مسعود الأنصاريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) رواه مسلم (١٢١).

(٤) أحسنُ ما سمعتُ للشعالبيِّ (٨٨).



حِفْظُ السِّرِّ

السِّرُّ: اسم لما يُسَرُّ به الإنسانُ (أي: يَكْتُمُهُ).

قال الجاحظُ: «هو مركبٌ من الوقارِ وأداءِ الأمانةِ؛ فإنَّ إخراجَ السِّرِّ من فضولِ الكلامِ، وليس بوقورٍ من تكلمَ بالفضولِ وقال: وكما أنه من استودعَ مالاً، فأخرجهُ إلى غير مُودِعِهِ فقد خَفَرَ الأمانةَ، كذلك من استودعَ سِرًّا فأخرجهُ إلى غير مُودِعِهِ، فقد خَفَرَ الأمانةَ»^(١).

وفي الحديث: «المجالسُ بالأمانة»^(٢)، والكريمُ حقًّا من حَفِظَ سِرَّ صاحِبِهِ، حتى ولو حصلتَ بينهما وَحْشَةٌ بعدُ أُلْفَةٍ، واللئيمُ بالضدِّ، بل إنَّه لَيَنْشُرُ أسرارَ صاحِبِهِ في وقتِ المُوافقةِ والمُفارقةِ!

إنَّ الكريمَ الذي تبقى مودتُهُ
ليس الكريمُ الذي إن زلَّ صاحِبُهُ
ويحفظُ السِّرَّ إن صافى وإن صرَّما
بَثَّ الذي كان من أسرارِهِ عَلِمًا^(٣)

* * *

(١) تهذيبُ الأخلاقِ للجاحظِ (٢٥).

(٢) أخرجهُ أحمدُ (٢ / ٣٤٢)، وحسنَه الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (٦٦٧٨).

(٣) آدابُ العِشرةِ للغزِّيِّ (٢٣).



العِفَّةُ

جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن يستغفِرْ يُعْفِهِ اللهُ، ومن يستغْنِ يُغْنِهِ اللهُ».

فالمستغفِرُ هو الذي لا يسألُ الناسَ بلسانه، والمستغْنِي: لا يستشرفُ بقلبه.

فدلَّ الحديثُ أنَّ من استغفَرَ عَمَّا في أيدي الناسِ ما لم يكنْ مُضْطَرًّا؛ فإنَّ الله يعينه على العفافِ، هذا جوابُ الشرطِ، ومفهومُ الحديثِ: أن من يتبدَّلَ نفسه للناسِ فيسألهم أموالهم؛ فإنَّ الله يبتليه بالحاجةِ الدائمةِ إليهم، وكفى بذلك ذلًّا.

ومن ترقى إلى مرتبةِ أعلى منها وهو الاستغناء عن الناسِ بقلبه وحاله؛ فإنَّ الله يغنيه من فضله، ويجعلُ القناعةَ في قلبه، ولكن إن أُعطي من غير مسألةٍ ولا استشرافٍ، فهو رزقٌ حلالٌ.

ففي «الصحيحين»^(٢) عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال لِعُمَرَ: ما جاءك من هذا المالِ وأنتَ غيرُ مُشْرِفٍ، ولا سائلٍ فخذهُ، وما لا فلا تتبِعهُ نَفْسَكَ». فقطعَ الإشرافَ في القلبِ، والسؤالَ باللسانِ تعقُّفاً.

* * *

(١) رواه البخاريُّ (١٤٦٩)، ومسلمٌ (١٠٥٣).

(٢) رواه البخاريُّ (٧١٦٤)، ومسلمٌ (١٠٤٥) واللفظُ لَهُ.



حُسْنُ الاستماع

حسْنُ الاستماع: هو الإنصاتُ لمحدِّثِك بالقلبِ والوَجْهِ، وعدمُ التشاغلِ عنه مع تجنُّبِ المقاطعةِ، وإن طال حتى يُمَسِكَ، وفي التنزيلِ: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]. أي يُحَسِّنُونَ الاستماعَ وَيَتَّبِعُونَ الأَحْسَنَ.

وفي الحديثِ: «يا ذا الأذنين»^(١) قال العلماءُ: معناه: الحَضُّ والتنبيةُ على حُسْنِ الاستماعِ.

وقال ابنُ المقفَّع: «تعلَّم حُسْنَ الاستماعِ، كما تتعلَّم حُسْنَ الكلامِ، ومِنْ حُسْنِ الاستماعِ: إمهالُ المتكلمِ حتى ينقضيَ حديثُهُ، وقلةُ التلَفُّتِ إلى الجوابِ، والإقبالُ بالوَجْهِ، والنظرُ إلى المتكلمِ، والوعيُّ لما يقولُ»^(٢).

من لي بإنسانٍ إذا أغضبتُهُ
وجهلَّتْ كان الحلمُ ردُّ جوابِهِ
وتراه يُصغي للحديثِ بطرفِهِ
وبقلبِهِ ولعلَّه أدري بِهِ^(٣)

* * *

(١) أخرجه الترمذِيُّ (٣٨٢٨)، وصحَّحهُ الألبانيُّ في مختصر الشمائلِ المحمديَّةِ (٢٠٠).

(٢) الأدبُ الصغيرُ والأدبُ الكبيرُ (١٢٩).

(٣) غررُ الخصائصِ الواضحةِ (٥٤٢).



قبول العذر

إذا اعتذر الجاني محَا العذرُ ذنبُهُ وكلُّ امرئٍ لا يقبلُ العذرَ مُذنبٌ (١)
 كرامُ الناسِ يقبلون العذرَ لأوَّلِ وهلةٍ حقًّا كان أو باطلاً، ويردُّون على المعتذرِ
 أجملَ الردِّ وأحسنَه حتى كأنه ليس له ذنبٌ يعتذرُ منه.

ولئامُ الناسِ يواجهون المعتذرَ باللؤمِ والعقابِ، والتفريعِ والتوبيخِ؛ حتى
 يغلي صدرُهُ بالحقِّدِ غليانَ المرِّجلِ!
 اقبلْ معاذيرَ مَنْ يأتيكَ معتذراً إن برَّ عندك فيما قال أو فجراً
 فقد أطاعكَ من يُرضيكَ ظاهرُهُ وقد أجلكَ من يعصيكَ مُستتراً (٢)

* * *

(١) الحماسةُ البصريَّةُ (٢/ ٢٠).

(٢) ديوانُ الصبابةِ للمغربيِّ (٥٨).

تَحْمَلُ كَلِمَاتِ أَهْلِ الْفَضْلِ

قد تصدرُ من أهل الدين والفضل كلماتٌ ظاهرها الشدةُ أو الانتقاصُ من حقِّك، والكريمُ من تحمَّلَ كلماتهم، وحَمَلَهَا على أحسنِ المحاميلِ، كما يصنعُ مع والديه، واللئيمُ لخساسةِ طبعه لا يعذرُ فاضلاً.

وانظرُ إلى تحمُّلِ رسولِ الله ﷺ كلماتِ موسى - عليه الصلاة والسلامُ - حين وَصَفَهُ بأنه غلامٌ، قال موسى: «ياربِّ هذا الغلامُ الذي بعثَ بعدي، يدخلُ من أُمَّتِهِ أفضلُ مما يدخلُ من أُمَّتِي» (١).

وتحمَّلَ عَمَرَ كلماتِ أبي عبيدة حين قال له: «أفراراً من قدرِ الله؟!» (٢).
وتحمُّله مقولةُ أمَّهاتِ المؤمنين لما قُلْنَ له: «أَنْتَ أَفْظُ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (٣).

واعلمُ أنَّ أهلَ الفضلِ متى انتبهوا لكلماتهم عَرَفُوا لَكَ فَضْلَكَ.

* * *

(١) رواه البخاريُّ (٣٣٥)، ومسلمٌ (١٦٤).

(٢) رواه البخاريُّ (٥٧٢٩)، ومسلمٌ (٢٢١٩).

(٣) رواه البخاريُّ (٣٢٩٤) واللفظُ له، ومسلمٌ (٢٣٩٦).



العَفْوُ

العَفْوُ: هو التجاوزُ عن الذَّنْبِ.

والفرقُ بين العَفْوِ والذَّلِّ: هو أن العَفْوَ إسقاطُ حَقِّكَ جُودًا وكرمًا، والذَّلُّ تَرْكُ الانتقامِ عَجْزًا وخوفًا.

والعَفْوُ من صفاتِ اللهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣].

واللهُ ﷻ يحبُّ من اتَّصَفَ بصفاته التي يَحْسُنُ من المخلوقِ أن يتَّصَفَ بمقتضاها بخلافِ الصفاتِ المختصةِ به كالحَلَّاقِ، والرِّزَّاقِ، والإِلَهِ، والرحمنِ...

وجاء في صفاته ﷻ إنه: «لا يجزي السيئةَ بالسيئةِ ولكن يعفو ويصفح»^(١).

وبالعفو تُنالُ التقوى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وتنالُ المغفرةُ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

وتنالُ العِزَّةُ: «... وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا»^(٢).

وتنالُ الراحةُ:

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٦)، وصحَّحهُ الألبانيُّ في «الصحيحه» (٢٠٩٥)، وصحَّحهُ شيخنا الوادعيُّ

رَحْمَةُ اللهِ فِي «الصحيح المسند» (١٥٩٢).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨).

لما عفوت ولم أحقد على أحدٍ أرحتُ نفسي من همِّ العداواتِ (١)

* * *

(١) الديوانُ المنسوبُ للشافعيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢١).



اعتذارُ الكريمِ مُعَجَّلٌ واللئيمِ مُطْلٌ (١)

الكريمُ متى أغضبَ أخاه فإنه يبادرُ الاعتذارَ قبلَ أن يبتَ الجرحُ على فسادٍ، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: «إنه كان بيني وبين ابنِ الخطابِ شيءٌ فأسرعتُ إليه ... فسألتُهُ أن يغفرَ لي» (٢).

واللئيمُ يماطلُ في اعتذارِهِ حتى إذا ماتَ القلبُ بالحقِّ ذارَ قبره.

اعتذرَ من أخيك في عَجَلٍ أطفئِ النارَ وهي تشتعلُ
إنَّ جمرًا تحتَ الرمادِ وما يطفئُ الجمرَ ذلكَ المَطْلُ (٣)

* * *

(١) انظر كتابي «الاعتذارُ فنٌّ وذوقٌ» ففيه ما يروي الغلَّةَ ويشفي العِلَّةَ وستمرُّ عليك أحاديثُ تعجبك: إما مليحةً، وإما رائعةً.

(٢) رواه البخاريُّ (٣٤٦١).

(٣) قاله أستاذنا عبدُ الكريمِ العمادُ -حَفِظَهُ اللهُ-

غَضُّ الصَّوْتِ

الصوتُ المعتدلُ الهادئُ من غيرِ صُراخٍ أو صياحٍ، من غيرِ إسرارٍ، أو إخفاتٍ، هو الأنفدُ في النفوسِ، والأحفظُ لهيئةِ الكلمةِ، ووقارِ المتكلمِ فما لك وللصياحِ ألم تسمعَ اللهَ ﷻ يقولُ: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١)

[لقمان: ١٩]

قال ابنُ سَعْدِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أَدْبًا مَعَ النَّاسِ وَمَعَ اللهِ، ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ أَي: أَفْضَعُهَا وَأَبْشَعُهَا، ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾، فَلَوْ كَانَ فِي رَفْعِ الصَّوْتِ الْبَلِيغِ فَائِدَةٌ وَمُصْلِحَةٌ، لَمَا اخْتَصَّ بِذَلِكَ الْحَمَارُ الَّذِي قَدْ عَلِمَتْ خَسَّتُهُ وَبِلَادَتُهُ» (١).

* * *

(١) تفسيرُ السعديِّ (٦٤٨).



التَّائِي

التَّائِي: هو عَدَمُ التَّسَرُّعِ فِي الْأُمُورِ، وَيَدُلُّ عَلَى رِجَاحَةِ الْعَقْلِ، وَطَمَآنِينَةِ الْقَلْبِ.
 وَمِنْ فَوَائِدِهِ: أَنَّهُ يَجْمَعُ لَكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ؛ لَمَا فِيهِ مِنْ حَمْدِ الْعَاقِبَةِ.
 وَهُوَ سَبَبٌ لِنَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَفِي «الصَّحِيحِ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَشَجِّ
 عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يَحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَانَةُ» (١).
 وَيُنَالُ بِمَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، فَمِنْ أَسْمَائِهِ: الْحَلِيمُ، الرَّفِيقُ، وَمِنْ مَعَانِيهِمَا
 التَّائِي فِي الْأُمُورِ.

كَمَا يُنَالُ بِاسْتِشَارَةِ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾
 [أَلْ عِمْرَانُ: ١٥٩].

قَالَ الْمَاورِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْحَزْمُ لِكُلِّ ذِي لُبٍّ أَلَا يُبْرِمَ أَمْرًا، وَلَا يُمَضِّي عَزْمًا إِلَّا
 بِمَشَاوِرَةِ ذِي الرَّأْيِ النَّاصِحِ، وَمَطَالَعَةِ ذِي الْعَقْلِ الرَّاجِحِ» (٢).

لَا تَعْجَلَنَّ لِأَمْرٍ أَنْتِ طَالِبُهُ فَقَلِّمًا يُدْرِكُ الْمَطْلُوبَ ذُو الْعَجَلِ
 فَذُو التَّائِي مُصِيبٌ فِي مَقَاصِدِهِ وَذُو التَّعَجُّلِ لَا يَخْلُو مِنَ الزَّلَلِ

* * *

(١) رواه مسلم (١٨) عن أبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أدب الدنيا والدين (٢٠٠).



سلامة الصدر

سلامة الصدر: هو نَقَاءُ الْقَلْبِ وَخُلُوهُ مِنْ كُلِّ غِلٍّ وَحَسَدٍ وَحَقْدٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

وهو من صفات أهل الجنة ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣].
وفي البخاري: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ... قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ»^(١).

ومن صفات الصالحين: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر: ٩].
ومن أسباب سلامة الصدر إصلاح ذات البين.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وَجَرَّبُ تَجِدُ أَنْكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا الشَّيْءَ وَعَفَوْتَ وَأَصْلَحْتَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ تَجِدُ أَنْكَ تَعِيشُ فِي رَاحَةٍ وَطَمَآنِينَةٍ، وَانْشِرَاحِ صَدْرٍ وَسُرُورِ قَلْبٍ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ فِي قَلْبِكَ حَقْدٌ عَلَيْهِمْ، أَوْ عَدَاوَةٌ فَإِنَّكَ تَجِدُ نَفْسَكَ فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الْغَمِّ وَالْهَمِّ»^(٢).

سلامة الصدر قلبٌ طاهرٌ عَطِرٌ لا فيه إثمٌ ولا غلٌّ ولا حسدٌ

(١) أخرجه الحاكم (٢٣٨٩)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٦).

(٢) الشرح الممتع (٥ / ٢٠٧).

رَأَيْتُ صَاحِبَهَا عَفَّتْ مَقَاصِدُهُ كَأَنَّهُ بَيْنَ خَلْقِ اللَّهِ مُنْفَرِدٌ^(١)

* * *

(١) قاله أستاذنا - حَفِظَهُ اللَّهُ -، ولي كتابٌ بعنوان «سَلَامَةُ الصَّدْرِ» تجدُّه كما قيل: «كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَاءِ» إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

تَرْكُ اللِّبَاسِ تَوَاضِعًا

جاء في سنن الترمذيِّ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ عن معاذِ الجهنيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن أبيه أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضِعًا لَهِ اللهُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَوْسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلِّ الْإِيمَانِ شَاءَ يَلْبِسُهَا» (١).
قال ابنُ عثيمينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

«وهذا يعني أنَّ الإنسانَ إذا كان بينَ أناسٍ متوسِّطي الحالِ لا يستطيعون اللِّبَاسَ الرَّفِيعَ، فيتواضَعُ وصارَ يلبسُ مثلهم، لِئَلَّا تَنكَسِرَ قُلُوبُهُمْ، فَإِنَّهُ يَنَالُ هَذَا الْأَجْرَ الْعَظِيمَ» (٢).

قلتُ: لا تعارُضَ بينه وبين حديثِ «إِنَّ اللهُ يَحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ» فهذا في حَقِّ مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ بُخْلًا أَوْ كَانَ يَلْبَسُ دُونَ مَا عَلَيْهِ مَتَوَسِّطُو الْحَالِ، أَوْ كَانَ بَيْنَ قَوْمٍ يَلْبَسُونَ الرَّفِيعَ مِنَ الثِّيَابِ - وَاللهُ أَعْلَمُ -.

* * *

(١) أخرجهُ الترمذيُّ (٢٤٨١)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٦١٤٥).

(٢) شرحُ رياض الصالحين (٤ / ٣١٧).

دعوة مَنْ لا ظَهْرَ لَهُ إلى الركوبِ مَعَكَ

من الاخلاق التي أنت جديرٌ بها أنه متى وجدتَ مارًا في طريق، وكان عندك مقعدٌ في سيارتك فاضلٌ عن الحاجةِ فقفْ له، واحمله مَعَكَ فهذا من مكارم الأخلاق؛ ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديثِ أبي سعيدٍ: «مَنْ كان مَعَهُ فَضْلٌ ظَهْرٌ (أي: مركوبٌ فاضلٌ عن حاجتهِ كمقعدٍ في السيارة) فَلْيَعُدْ به على مَنْ لا ظَهْرَ له».

وربَّما كان هذا الخُلُقُ النبيلُ سَبَبًا في فتحِ قلبٍ مَنْ تحمله مَعَكَ؛ لِتَصُبَّ فيه الخيرَ صَبًّا، فبعد الترحابِ، والتعارفِ تدعوه إلى التمسُّكِ بالسنةِ ونبذِ البدعةِ بأحسنِ عبارةٍ، وألطفِ إشارةٍ، ولو كانت المسافةُ دقائقَ معدوداتٍ، ولعلَّها فرصةٌ تطلبُ رَقْمَهُ بقصدٍ أن تتعهدَهُ بالنصائحِ، فعادةُ الناسِ أنهم يتقبَّلون نصائحَ الداخلِ إلى قلوبهم من بابِ البرِّ والإحسانِ.

* * *

(١) رواه مسلم (١٧٢٨).



ذَمُّ النَّاسِ لَكَ

ذَمُّ النَّاسِ لَكَ إِنْ كَانَ بِحَقٍّ، فَهُوَ سَبَبٌ لِاجْتِنَابِ مَا يُعَابُ، وَإِنْ كَانَ بِيَاظِلٍ، فَهُوَ سَبَبٌ لِاِكْتِسَابِ فَضِيلَتِي الصَّبْرِ وَالْحِلْمِ، وَفِي كِلَا الْأَمْرَيْنِ أَنْتَ الْغَانِمُ، يَقِفُ الذَّامُّ لَكَ غَدًا مَوْقِفَ الْغَارِمِ لِيُعْطِيكَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ مِنْ سَيِّئَاتِكَ، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ: «أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ» (١).

يُشَارِكُكَ الْمُغْتَابُ فِي حَسَنَاتِهِ وَيَحْمِلُ وَزْرًا عَنْكَ صَنَّ بِحَمْلِهِ
وَيُعْطِيكَ أَجْرِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ
عَنِ النَّجْبِ مِنْ أَبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ (٢)

* * *

(١) رواه مسلم (٢٥٨١).

(٢) موارد الظمان لدروس الزمان (١ / ٣٨٤).



المزاح

وإياك مِنْ فَرَطِ المِزَاحِ فَإِنَّهُ جَدِيرٌ بِتَسْفِيهِ الحَلِيمِ المُسَدِّدِ

المزاحُ سُنَّةٌ كَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَمْزُحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» (١).

فقولُهُ: «إِنِّي لَأَمْزُحُ»: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ سُنَّةٌ، وَقَوْلُهُ: «وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ الكَذِبِ جِدًّا أَوْ هَازِلًا.

والذي وَصَلَ إلينا مِنْ مَزَاحِهِ ﷺ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ قَلِيلٍ جِدًّا، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ المِزَاحِ أحيانًا وَيكونُ بِقَدْرِ المِلْحِ فِي الطَّعامِ.

أَفِئْدُ طَبَعِكَ المَكْدُودَ بِالهِمِّ رَاحَةً يُجَمِّمُ وَعَلَّلَهُ بِشَيْءٍ مِنَ المِزْحِ وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتْهُ المِزْحُ فَلْيَكُنْ بِمَقْدَارِ مَا يُعْطَى الطَّعامُ مِنَ المِلْحِ

* * *

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١٩٩٠)، وَصَحَّحَهُ الألباني فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ» (٢٥٠٩).



العزم

العزمُ هو: إمضاء الرأي، وعدم التردد بعد تبين السداد.
والفرق بين الحزم والعزم: أن الحزم التأهب للأمر، والعزم النفاذ فيه، ومنه المثل: «لا خير في عزمٍ بغير حزم».

والعزم من فعل الصالحين: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وفي «الصحيحين»: «لا يقولنَّ أحدُكم: اللهم اغفر لي إن شئتَ، اللهم ارحمني إن شئتَ ليعزم في الدعاء؛ فإنَّ الله صانعٌ ما شاء لا مُكرهَ له»^(١) أي: يجزم بوقوع مطلوبه من غير ترددٍ.

والعزمُ أساسٌ تهذيبِ النفوسِ، وتحصيلِ مكارمِ الأخلاقِ وتحقيقِ التقوى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].
ويُنالُ بالاعتداءِ بذوي العزمِ: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكنْ ذا عزيمةٍ
ولا تمهلِ الأعداءَ يوماً بقُدرةٍ
فإنَّ فسادَ الرأيِ أن تتردَّداً
وبادرهمُ أن يملكوا مثلها غداً^(٢)

* * *

(١) رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) التذكرة الحمدونية (١/ ٤١٩).

لا تَنْقُلْ لِأَخِيكَ مَا يُؤْلِمُ نَفْسَهُ

لا تَنْقُلْ لِأَخِيكَ السَّبَّ أَوْ الْغِيْبَةَ، فَهَذَا لَا يَلِيقُ بِأَهْلِ الْمَرْوَةِ وَالْعِفَّةِ.

قال ابن حزم: «لا تنقل إلى صديقك ما يؤلم نفسه، ولا ينتفع بمعرفته؛ فهذا فعل الأراذل»^(١) وفي المثل: «سبَّكَ مَنْ نَقَلَ السَّبَّ»^(٢).

والكريم من ينصُر أخاه عند من ظلمه، ولا يحمل له ما يؤلمه، واللئيم يلتقط البضاعة الساقطة، التي لا يحملها إلا سقاط الناس وهملهم، وقُلْ مثل ذلك في الكلام المذكور بالأسي والحزن في «البخاري»^(٣) سأل رسول الله ﷺ وحشيًا: «أنت قتلت حمزة؟» قال: قد كان من الأمر ما بلغك، فانظر إلى حُسنِ تخلصٍ وحشيٍّ من الكلمة التي تُسخنُ الصَّدرَ، وتذكُرُ بالمصيبة وهي: «نعم».

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداءٍ يرتديه جميل^(٤)

* * *

(١) «الأخلاق والسير» (٤٧).

(٢) الأمثال للهاشمي (١٤٤).

(٣) «رواه البخاري» (٤٠٧٢).

(٤) أشعر الشعراء السَّنة الجاهلين (١١٢).



الاسترسال مع العوام

طلابُ العلمِ مقامُهُم رفيعٌ، رفعَهُم اللهُ بالعلمِ، والعامَّةُ تستخِفُّ بمنْ يمزحُ معهم؛ لجهلِهِم، وقد مَضَتْ سنَةُ الأسلافِ أَنَّ مَزَاحَهُم كانَ بصورةٍ فرديةٍ ومع طائفةٍ من الناسِ صيانةً لعلومِهِم قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللهُ: «لا ينبغي للعالمِ أن ينسبطَ عند العوامِ حِفْظًا لَهُم، ومتى أرادَ مباحًا فليستترَ به عنهم» (١).

وقال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «وإذا رأى العوامُ أَحَدَ العلماءِ مترخصًا في أمرٍ مباحٍ، هانَ عندهم فالواجبُ عليه صيانةُ علمِهِ، وإقامةُ قَدْرِ العلمِ عندهم، فقد قال بعضُ السلفِ: كُنَّا نَمزحُ ونضحكُ، فإذا صرنا يُقتدى بنا فما أراه يَسعنا ذلك» (٢).

وإذا أردتَ شاهدًا: فانظر إلى منزلةٍ مَنْ تَرَكَ الانبساطَ عند العوامِ مِمَّنْ استرسل؛ كيف يُجَلُّ الأولُ، ويحتاجُ إلى علمِهِ، ويُرْهَدُ في الثاني.

ولو أنَّ أهلَ العلمِ صانوه صانَهُم
ولو عظمُوهُ في النفوسِ لعُظُمَا
ولكنَّ أهانُوهُ فهانُوا ودنَّسُوا
مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا! (٣)

* * *

(١) «صيدُ الخاطر» (٣٤٦).

(٢) المرجعُ السابقُ (٣٤٥).

(٣) «منتقى الأشعار» (٩٠) للكاتبِ.

الدفاع عن الأخ في غيبته

من حَقَّ أخيك عليك أن تدفع عنه في غيبته، فتردد عنه ما تعلم براءته مما نسب إليه، ومتى سكت فقد خذلت أخاك، والجزاء من جنس العمل ففي سنن أبي داود بسند صحيح: «ما من امرئٍ يخذل امرءًا مسلمًا في موضعٍ انتهك فيه حرمة، ويُنْتَقِصُ فيه من عرضه إلا خذله الله في موضعٍ يحبُّ فيه نصرته، وما من امرئٍ ينصر مسلمًا في موضعٍ يُنْتَقِصُ فيه من عرضه، ويُنْتَهَكُ فيه من حرمة - إلا نصره الله في موطنٍ يحبُّ فيه نصرته» (١).

قال النووي رحمته الله: «ينبغي لمن سمع غيبة مسلم أن يردها، ويزجر قائلها، فإن لم يزرجر بالكلام، زجره بيده، فإن لم يستطع باليد ولا باللسان فارق ذلك المجلس».

لا تهتكن من مساوي الناس ما
فیهتک الله سترًا من مساويکا
واذکر محاسن ما فیهم إذا ذکرُوا
ولا تعب أحدًا منهم بما فیکا

* * *

(١) رواه أبو داود (٤٨٨٤)، وقال محقق جامع الأصول: حديث حسن بشواهده (٥٧٠ / ٦) عن جابر بن عبد الله وأبي طلحة رضي الله عنهما.

ليس الواصلُ بالمكافئِ

جاء في «صحيح البخاري»^(١) عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليس الواصلُ بالمكافئِ، ولكنَّ الواصلُ الذي إذا قَطَعَتْ رَحْمُهُ وَصَلَّهَا».

فَدَلَّ الْحَدِيثُ أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ إِذَا كَانَتْ رَدًّا لِلْجَمِيلِ، وَمُكَافَأَةً، وَلَيْسَ ابْتِدَاءً، فَإِنَّهَا حَيْثُ نَدَّ لَيْسَتْ بِصِلَةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ مُقَابَلَةٌ بِالْمِثْلِ^(٢).

فالناسُ أربعةٌ:

١- واصلٌ: مَنْ يُبْدَأُ بِالْفَضْلِ.

٢- مكافئٌ: مَنْ يَرُدُّ مِثْلَهُ.

٣- قاطعٌ: لَا يَتَفَضَّلُ وَلَا يُكَافِئُ.

٤- كاملٌ: مَنْ يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ.

صِلْ ذَوِي الْأَرْحَامِ مَهْمَا قَطَعُوا
وَدَعْ الشَّرَّ الَّذِي لَمْ يَدْعُوا

(١) رواه البخاريُّ (٥٦٤٥).

(٢) انظر كتابي (أعذبُ الكلامِ في صِلَةِ الْأَرْحَامِ).

وقد أهديتُه في الناسِ بِدَعَا
فقد باهى نَفْسَ الدُّرِّ وَقَعَا

كتابٌ جَادَ بَيْنَ الْكُتُبِ بِدَعَا
إِذَا مَا نَالَ مِنْكَ شَرِيفَ لِحْظِ

واضطربَ مهما تَمَادَى ظُلْمُهُمْ واخْتَسِبَ أَجْرَكَ مهما صَنَعُوا (١)

* * *

(١) قَالَهُ أُسْتَاذُنَا الْعِمَادُ - حَفِظَهُ اللَّهُ - .



دفع التهمة عن النفس

جاء في «الصحيحين»^(١) «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اعْتَكَفَ فَاتَّهَتْهُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةَ لَيْلًا تَزْوَرُهُ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ أَسْرَعَا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلَى رَسُولِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةٌ.

فقالا: سبحان الله! يا رسول الله، قال: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا».

فَدَلَّ الْحَدِيثُ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ الْإِبْتِعَادُ عَنِ مَوَاطِنِ التُّهْمِ وَالشُّبُهَاتِ؛ لِأَنَّهَا قَدْ تَجَرَّ النَّاسَ إِلَى إِسَاءَةِ الظَّنِّ بِهِ، وَمَتَى حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ أَنْ يُغْلِقَ أَسْبَابَ الْوَسَاوِسِ؛ بِدَفْعِ التُّهْمَةِ عَنِ نَفْسِهِ مِنْ بَابِ «إِنَّهَا صَفِيَّةٌ»؛ لِأَنَّ مَنْ التَّصَقَّتْ بِهِ تَهْمَةٌ الْمَعْصِيَةِ اسْتَحَقَّ الدَّمَ وَالْمَقْتَّ مِنَ النَّاسِ فَكَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ ارْتَكَبَهَا إِمَاطَةَ التُّهْمَةِ عَنِ نَفْسِهِ، وَطَلَبُ السَّلَامَةِ مِنَ النَّاسِ».

* * *

(١) رواه البخاري (٣٢٨١)، ومسلم (٢١٧٥).

الشكوى للناس

شَمَاتَةَ الأَعْدَاءِ تُعَرَفُ بِأَنَّهَا: فَرَحُ العَدُوِّ بِبَلِيَّةٍ تَنْزِلُ بَعْدُوهُ. وَأَعْظَمُ أسبابِهَا الشكوى للناس! فما لك وللشكوى؟! وَيَحْكُ أَظْهَرَ للناسِ نعمة الله عليك، لا ابتلاء الله لك! وحالك:

وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمْ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ^(١)

أما علمت أن شَمَاتَةَ الأَعْدَاءِ شَجَى فِي الحَلْقِ، وَقَذَى فِي العَيْنِ، اسْتِعَاذَ مِنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَلَا تُشِمِتْ بِي عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا»^(٢).

أي: لا تبتلني ببليَّةٍ يفرح بها عدوي وحاسدي، وأمرنا أن نستعيدَ منها:

«تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ البَلَاءِ... وَمِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»^(٣).

كُلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتى فَتَهُونَ غَيْرَ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ^(٤)

* * *

(١) بهجة المجالس (١٥٩).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٥٢٥) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٦٠).

(٣) رواه البخاري (٦٢٤٢)، ومسلم (٢٧٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) زهرة الأكم في الأمثال والحكم (١/ ١٧٥).

الغَضَبُ جَماعُ الشَّرِّ

الغَضَبُ جَماعُ الشَّرِّ، إِلا الغَضَبَ لَهِ، وَمِمَّا جَاءَ في صِفاتِ الأُسُوةِ الحِسانَةِ: «لا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ، وَلَكن إِذا انْتَهَكَتُ حُرْماتُ اللهِ لَمْ يَقُمْ لَغَضَبِهِ شَيْءٌ»^(١).

وَقال لِمَنْ طَلَبَ الوصِيَّةَ: «لا تَغْضَبْ» وَكَرَّرَ ذلك ثَلاثانِ وَفي رِوايةٍ، فَفَكَّرْتُ حينَ قالَ ما قالَ: «إِذا الغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ»^(٢).

وَقيلَ لابنِ المُبارِكِ اجْمَعْ لَنا مِكارِمَ الأَخلاقِ في كَلمَةٍ قالَ: «تَرَكَ الغَضَبِ». أَمَّا الطَّبُّ فَقدَ أَرَجَعَ ثُلثي العَافيةِ إِلى تَرَكَ الغَضَبِ!^(٣)

* * *

(١) رواه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(٢) رواه البخاري (٥٧٦٥).

(٣) انظر «فقه الغضب».

الذُّلُّ

الذُّلُّ هو: خضوعٌ في النفسِ بسببِ الضعفِ عن الدَّفْعِ، وِضْدُهُ العِزُّ، وَيُنْقَسِمُ إلى قِسْمَيْنِ:

١ - محمودٌ: وهو بمعنَى التَّرْحِمِ، والتواضِعِ، والعَطْفِ ﴿أَذْلَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

٢ - مذمومٌ: وهو التَّدَلُّ لغيرِ اللهِ على وَجْهِ الهَوَانِ، والِضَّعْفِ والانكسارِ. والفرقُ بين الذُّلِّ والِضَّعْفِ: أَنَّ الذَّلَّ: بسببِ خارجيٍّ عن الإنسانِ، بَأَنَّ يَقْهَرَهُ غيرُهُ، والِضَّعْفُ بِفِعْلِ المرءِ نَفْسِهِ، فَيُنزِلُهَا غيرَ منزلَتِهَا، أو يَضْعُهَا في غيرِ موضعِهَا، مثلُ مُجَارَاةِ السفهَاءِ، أو مجالستِهِمْ، أو التخلُّقِ بأخلاقِهِمْ، أو ارتيادِ الأماكِنِ المشبوهاتِ، أو النظرِ للنساءِ في الأسواقِ والمنتزهاتِ، والمرءُ حيثُ وَضَعَ نَفْسَهُ فَإِنْ رَفَعَهَا ارتفعتْ، وَإِنْ وَضَعَهَا اتَّضَعَتْ.

وما المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نَفْسَهُ
فكُنْ طالبًا في الناسِ أعلى المراتبِ
وَصُنْ مِنْكَ ماءَ الوَجْهِ لا تَبْدَلْتَهُ
ولا تسألِ الأَرذالَ فَضَلَ الرغائبِ (١)

* * *

(١) دواوينُ الشعرِ العربيِّ (١١ / ١٦٧).



الحَسَدُ

الحَسَدُ داءٌ من الأدواءِ الخبيثةِ في الناسِ، وهو: أن يري لأخيه نعمةً فيتمنى أن تزولَ عنه وتكونَ لهُ وإذا تمنى مثلها من غيرِ تمنى زوالها فتلك الغبطةُ التي تُحمدُ ولا تُذمُّ.

والحسدُ محرمٌ منهيٌّ عنه ففي «الصحيح»: «ولا تحاسدوا»^(١)، وقد يضرُّ المحسودَ فشرعتِ الاستعاذةُ منه.

«قل هو الله أحدٌ» والمعوذتان حين تمسي وحين تصبح ثلاث مراتٍ تكفيك من كلِّ شيءٍ^(٢).

أي: تدفعُ عنك كلَّ شيءٍ يضرُّك.

والحاسدُ غيرُ راضٍ بقدرِ الله وقسمتهِ لعبادهِ.

أي حاسدًا لي على نعمتي

أتدري على من أسأت الأدب؟!!

أسأت على الله في حكمه

لأنك لم ترض لي ما وهب^(٣)

* * *

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٤٤٠٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٦٤٩) عن

عبد الله بن حبيب رضي الله عنه.

(٣) «الذخائر والعقريات» (١٧٧ / ٢).

فضولُ الكلام

أهل الإيمان كلامهم قليلٌ مفيدٌ؛ لأنهم تَدَبَّروا بتأديبِ الله لهم قال اللهُ ﷻ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]. أي: لا خيرَ في كثيرٍ من كلامِ الناسِ إلا ما كان نافعًا مفيدًا وفي «الصحيحين»^(١): «من كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

وفي «الصحيحين»^(٢): «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ...».

ومن يكثرُ من كلامِهِ من غيرِ فائدةٍ فجزاؤُهُ ما جاء في الحديثِ: «... وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ...»^(٣).

قال الترمذيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الثَّرَاوُ: هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ».

تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَالسُّكُوتُ جَمَادُ
فَإِن لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ عَنِ الْسَدَادِ سَدَادُ

* * *

(١) رواه البخاريُّ (٥٦٧٢)، ومسلمٌ (٤٧) من حديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاريُّ (٧٢٩٢)، ومسلمٌ (٩٥٣) من حديثِ المغيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذيُّ (٢٠١٨)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١٥٣٥).

الشُّحُّ

الشُّحُّ هو: البُخْلُ مَعَ حِرْصٍ، والفرقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ البُخْلِ كما ذَكَرَ ابنُ القِيَمِ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ الشُّحَّ هُوَ شِدَّةُ الحِرْصِ عَلَى الشَّيْءِ قَبْلَ حِصُولِهِ، وَالاسْتِقْصَاءُ فِي تَحْصِيلِهِ، وَالبُخْلُ مَنَعٌ إِنْفَاقِهِ بَعْدَ حِصُولِهِ، فَالبُخْلُ ثَمَرَةُ الشُّحِّ» (١).

وَالشُّحُّ كَامِنٌ فِي النَفُوسِ: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨] قَالَ السُّدِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ: أَي: جُبِلَتِ الْأَنْفُسُ عَلَى الشُّحِّ (٢) وَالشُّحُّ مِنْ صِفَاتِ المُنَافِقِينَ فَقَدْ وَصَفَهُمُ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَشْحَهَ عَلَى الْحَيْرِ﴾ [الأحزاب: ١٩].

فَمَنْ يَبْخُلُ فَقَدْ أَطَاعَ شُحَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَبْخُلْ فَقَدْ عَصَى شُحَّهُ وَوُقِيَ شَرَّ نَفْسِهِ: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

قَالَ ابنُ كَثِيرٍ: «أَيُّ مَنْ سَلِمَ مِنَ الشُّحِّ فَقَدْ أَفْلَحَ وَنَجَحَ» (٣).

وَمَتَى حَلَّ الشُّحُّ فِي صَدْرِ امْرِئٍ رَحَلَتْ عَنْهُ مَكَارِمُهُ.

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ:

ذَرِينِي فَإِنَّ الشُّحَّ يَا أُمَّ هَيْثِمٍ لِيَصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقٌ (٤)

* * *

(١) انظر: «الوابل الصيب» (٣٣).

(٢) تفسير السعدي (٢٠٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٧١ / ٨).

(٤) «الحماسة البصريّة» (٢ / ٢٣٦).

سوء الظن

سوء الظنُّ هو: التُّهْمَةُ، والتخوينُ للأهلِ، والأقاربِ والناسِ في غيرِ محلِّهِ (١).
 وحكمُهُ التحريمُ بل عدَّهُ ابنُ حَجَرٍ (٢) مِنَ الكَبَائِرِ سِيِّمًا إِذَا كَانَ مَنْ تَظَنُّ بِهِ
 السَّوْءَ ظَاهِرُهُ العَدَالَةُ وَلَمْ يُعْرَفْ بِالشَّرِّ خِلَافًا لِمَنْ ظَاهِرُهُ الفِسْقُ وَيُعْرَفُ بِالشَّرِّ
 بِدَلِيلٍ: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وأما الكافرُ أو العَدُوُّ الَّذِي لَا يُؤْمَنُ مَكْرَهُ، وَيَخَافُ شَرَّهُ فَسَوْءُ الظَّنِّ بِهِ مِنْ
 الحَزْمِ؛ لثَلَا نَصَادِفَ مِنْهُ شَرًّا عَلَى عِرَّةٍ.

وسوءُ الظَّنِّ: مِنْ أَعْمَالِ القُلُوبِ، وَلَا يَأْتُمُّ العَبْدُ عَلَى الطَّارِئِ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا
 عَلَى مَا اسْتَقَرَّ فِي القَلْبِ أَوْ تَكَلَّمَ بِاللِّسَانِ، أَوْ عَمِلَ بِمَقْتَضَاهُ بِالْأَرْكَانِ.

وأما حُسْنُ الظَّنِّ فَمِنْ أَخْلَاقِ الكِرَامِ؛ لِأَنَّهم لَشَرَفِ نَفوسِهِمْ يَعَامِلُونَ غَيْرَهُمْ
 بِمَا يَلَائِمُّ طَبَعَهُمْ.

وأما اللُّثَامُ فَإِنَّ سَوْءَ الظَّنِّ طَبِعٌ لَهُمْ لُضْعَةٌ نَفوسِهِمْ، وَسَوْءُ أفعالِهِمْ كَمَا قِيلَ:
 إِذَا سَاءَ فَعَلُ المَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُمِهِ
 وَعَادِي مُجِيبِهِ بِقَوْلِ عِدَاتِهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ

* * *

(١) تفسیر ابن کثیر (٧ / ٣٧٧).



العناد

العنادُ هو تَصَلُّبُ الرَّأْيِ، وينقسمُ إلى قِسمين: ممدوحٍ ومذمومٍ، فالممدوحُ هو تعبيرٌ عن التَّمَسُّكِ بِالْحَقِّ بعد وضوحِه وضوحِ الشمسِ في وَسَطِ النهارِ، وَعَدَمُ التَّرْخُوحِ عنه فَيَدُ شَعْرَةٍ، مع لزومِ السكينةِ والوقارِ، شاهدُ ذلك إصرارُ أبي بكرٍ الصديقِ على محاربةِ المرتدِّينَ ومانعيِ الزكاةِ رَغَمَ معارضةِ عُمَرَ وكثيرٍ من الصحابةِ ومراجعتِهِم حتى تبيَّنَ لهم أنه الحقُّ.

وشاهدٌ آخَرُ: إصرارُ الإمامِ أحمدَ على الجَهْرِ «بعدمِ خَلْقِ القرآنِ» تمسكًا بالشرعِ وحقائقِ العلمِ.

وأما العنادُ المذمومُ فهو الذي لا يقيمُ صاحِبُهُ اعتبارًا للحجَّةِ، ولا يسلمُ لدليلٍ، ولا ينقادُ لبرهانٍ.

فالعنادُ الممدوحُ يصلحُ صاحِبُهُ للصدرِ وعظائمِ الأمورِ.

والمذمومُ لن يستفيدَ صاحِبُهُ غيرَ الأذىِ والمنافرةِ.



الغيبَةُ الصَّفَقَةُ الخَاسِرَةُ

الغيبَةُ هي: ذكْرُ العَيْبِ بِظَهْرِ العَيْبِ، فهي بضاعةُ اللثامِ، وسلاحُ النساءِ، وتجارةُ الحاسِدينِ؛ يَتَّجِرُونَ بحَسَنَاتِهِمْ مع مَنْ يَعْتَقِدُونَ بُعْضَهُمْ وعدَاوَتَهُمْ.

زِدْ على ذلك أَنَّ الغيبَةَ من الكِبَائِرِ بدليل: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

وفي «الصحيح»: «لَمَّا عُرِجَ بي مَرَرْتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاسٍ يَحْمِشُونَ وجوهَهُمْ، وصدورَهُمْ، فقلتُ من هؤلاءِ يا جبريلُ؟! قال: هؤلاءِ الذين يأكلونَ لحومَ الناسِ وَيَقَعُونَ في أعراضِهِمْ» (١).

قال ابنُ عثيمينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الغيبَةُ من الكِبَائِرِ التي لا تُكْفَرُها الصلاةُ، ولا الصدقةُ، ولا الصيامُ، ولا الحجُّ» (٢).

فلا تعجبوا من جاهلٍ ضَرَّ نَفْسَهُ
يا معانِيهِ في نفعِ بعضِ عُدَاتِهِ
وأعجبُ مِنْهُ عاقِلٌ باتَ ساخِطًا
على رَجُلٍ يُهْدِي لَهُ حَسَنَاتِهِ (٣)

* * *

(١) «رواهُ مسلمٌ» (٢٥٨٩).

(٢) «شرحُ رياضِ الصالحين» (٦ / ١٠٩).

(٣) «القصائدُ الزهدياتُ» (١٠٠).



العاقلُ من تأمَّل العواقبَ

العاقلُ من تأمَّل العواقبَ فَمُسْتَقْبَلٌ ومُسْتَكْبِرٌ، فالعاقلُ لا يَتَقَدَّمُ على أي عملٍ حتى يتلمَّحَ حَمْدَ العاقبةِ، يحدو به ويُغريه، ويرى سُوءَ العاقبةِ قد أُلقي إليه بجرانه. ومَنْ جَمَعَ بينَ العَقْلِ واستشارةِ العُقلاءِ فقد أضافَ إلى عَقْلِهِ عَقولَ غَيْرِهِ. قال ابنُ مُفْلِحٍ رَحِمَهُ اللهُ:

«أكثرُ الناسِ لا يَنْظُرُونَ في العواقبِ، فكم من مُخاصِمٍ سَبَّ وشتَمَ وطَلَّقَ، فلمَّا أفاقَ نَدِمَ» (١).

وقال الشاعر يصف عاقلاً:

بصيرٌ بأعقابِ الأمورِ كأنما تخاطبُهُ في كلِّ أمرٍ عواقبُهُ (٢)



(١) الآدابُ الشرعيةُ (١١ / ٢٢٠).

(٢) التذكرةُ الحمدونيةُ (٢ / ٣٠٥).

لا تصاحب من لا يُحسِنُ صحبةَ والديه

لم يجعل الله لأحدٍ حقاً يلي حقه، وحقَّ رسوله ﷺ إلا للوالدين، فقد جعل برَّ الوالدين مقروناً بتوحيده، وعبادته ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وَقَرَنَ شَكَرَهُمَا بِشُكْرِهِ ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤].
وقال رسول الله ﷺ لِمَنْ سَأَلَهُ عَنِ الْأَحَقِّ بِالصُّحْبَةِ: «أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ثُمَّ أَبُوكَ» (١).

فَمَنْ لَمْ يُحْسِنِ صُحْبَةَ وَالِدَيْهِ فَلَا تَرْجُهُ لِحُسْنِ صُحْبَتِكَ.
إذا المرء لم يصحب أباه ببره فواعجبني والله ممن يصاحبه (٢)

* * *

(١) رواه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).

(٢) قاله أستاذنا - حفظه الله -.

دَعِ الشَّرِيْعَةَ

الكلمة المؤذية من رجلٍ مؤذٍ طأطئ لها رأسك تتخطك.

وفي التنزيل: ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذَىٰ﴾ [آل عمران: ١١١].

أي: إلا أذى تسمعونه منهم، غير مُستغربٍ صدوره عنهم، وفيه طمأنينة لقلوب المؤمنين، وتثبيت لهم؛ لئلا يُحزنهم ذلك.

وإن بليتٍ بخصمٍ لا خلاق له فكن كأنك لم تسمع ولم يقل (١)

* * *

(١) نفحة اليمين فيما يزول بذكره الشجن (١٤٩).



سلامة الذوق

الذوقُ هو كمالُ التهذيبِ، وحُسْنُ التصرفِ، وتجنُّبُ ما يُوقِعُ في الإحراجِ وجَرَحِ المشاعرِ بلفظٍ أو إشارةٍ أو نحوِ ذلك، فهو عِطْرُ الأَدَبِ ونفحةٌ من نفحاتِهِ، وليس بغريبٍ عن الأَدَبِ بل هو شَدَاهُ إن لم يَكُنْ لُبَّهُ (١).

ولن يَصِلَ أَحَدٌ إلى الذوقِ السليمِ حتى يرتادَ حياضَ الأَدَبِ وَيَرْتَعَ في رياضِهِ، ويطبَعَ نفسَهُ عليه.

والأَدَبُ له منزلةٌ سَنِيَّةٌ من الدينِ قال ابنُ المَبَارِكِ رَحِمَهُ اللهُ: «كاد الأَدَبُ أن يكونَ ثُلثي الدينِ» (٢).

وقال ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «الأَدَبُ هو الدينُ كُلُّهُ» (٣).

وحاجتُنَا للأَدَبِ لا تَقِلُّ عن حاجتِنَا للعلمِ، قال مُخَلَّدُ بنُ الحَسَنِ رَحِمَهُ اللهُ لابنِ المَبَارِكِ: «نحنُ إلى كثيرٍ من الأَدَبِ أَحوجُّ مِنَّا إلى كثيرٍ من العلمِ» (٤).

* * *

(١) انظر كتابي: «ذوقيات» تجد فيه ما يشفي العلة ويروي العلة إن شاء الله.

(٢) «صفة الصفوة» (٤ / ٣٧٩).

(٣) ومدارج السالكين (٣ / ٢٠٠).

(٤) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (١٢٢).



جاء في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مُعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سُفَاسِفَهَا» (١).
 فَمَنْ شَرَّفَ نَفْسَهُ عَمَّا لَا يَحْسُنُ وَلَا يَجْمُلُ، وَرَاضَهَا عَلَى مُعَالِيَ الْأُمُورِ
 وَأَشْرَافِهَا عَاشَ سَيِّدًا يَسْتَعْذِبُ النَّاسُ ذِكْرَهُ.
 صُنِّ النَّفْسِ وَاحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا تَعِشْ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فَيْكَ جَمِيلُ
 وَلَا تُرِينَ النَّاسَ إِلَّا تَجْمُلًا نَبَا بِكَ دَهْرٌ، أَوْ جَفَاكَ خَلِيلُ (٢)

* * *

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٩٦)، وصححه الألباني في «الصحيحه» (١٣٧٨).

(٢) التذكرة السعدية (٤٠).

الأدبُ فيما يُنقلُ عن الله

قال الله ﷻ حاكياً عن إبراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

فَنَسَبَ المرضَ إلى نفسه مع أَنه من الله، ولكن من بابِ التَّأدُّبِ بخلافِ قليلِ الأدبِ قال: ﴿فِيمَا أَعْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦].

مع أَنه هو الغاوي الذي غَوَى.

وقولِ الخَضِرِ - عليه الصلاة والسلام -: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩].

فَأَلْصَقَ عَيْبَ السفينةِ بِنفسِهِ، ولكن عند ذكر الجدار قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

وفي الحديث: «والشَّرُّ ليس إليك» (١).

وفي «البخاري» قال حاطِبُ: «أَرَدْتُ أَنْ تَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنِ أَهْلِي» (٢).

انظر إلى قولِهِ: يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنِ أَهْلِي، ولم ينسبِ السَّبَبَ للمعروفِ الذي

(١) رواه مسلم (٧٧١).

(٢) رواه البخاري (٣٠٨١)، ومسلم (٢٤٩٤).

صَنَعَهُ فَتَأَمَّلْ إِلَى رِقَّةِ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ.

يَوْمًا لَسَالَ كَمَا يَسِيلُ الْمَاءُ^(١)

أَدَبٌ كَمِثْلِ الْمَاءِ لَوْ أَفْرَغْتَهُ

* * *

(١) العَقْدُ الْفَرِيدُ (٢ / ٢٦٢).



الإعراض عن الجاهلين

رَبِّ شَتْمَ سَمِعْتُهُ فَتَصَامَمْتُ — تُوِّعِي تَرْكْتُهُ فَكُفَيْتُ (١)

قال الله ﷻ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

هذه الآية جامعة لأصول الأخلاق؛ فبالإعراض عن السفيف تنزيه للنفس عن مساواته، فليس العيب أن ينال منك سفيفه، وإنما العيب أن تعارضه وتمثله، فيعديك داؤه، وقد يصعب على الناس التفرقة بينك وبينه.

إذا سبني نذل ترايدت رفعة
وما العيب إلا أن أكون مسابيه
ولو لم تكن نفسي علي عزيزة
لمكنتها من كل نذل تحاربه (٢)

* * *

(١) الأصمعيات (٨٥).

(٢) ديوان الشافعي (٢٢).

الكُفُّ عن أذى الناس

جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم من سلّم المسلمون من لسانه ويده».

أي: أفضل المسلمين من جمّع إلى أداء حقّ الله أداءً حقوق العباد.

ومن أراد أن يُربّي نفسه على ترك أذى الناس بلسانه وجوارحه كلّها فعليه أن يتقرّب إلى الله بالمحافظة على الفرائض، والإكثار من النوافل؛ لحديث: «وما زال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أُحبّه، فإذا أُحبّه كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يسمعُ به، وبصره الذي يُبصرُ به، ويده التي يبطشُ بها»^(٢).

قال الخطابي في معناه: «توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها، بأن يحفظ جوارحه عليه، ويعصمه عن مُواقعة ما يكره الله، من الإصغاء إلى اللهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره، ومن البطش فيما لا يحلُّ له بيده، ومن السعي إلى الباطل برجله»^(٣).

* * *

(١) رواه البخاري (١١) ومسلم (٤٢).

(٢) رواه البخاري (٦١٣٧).

(٣) (فتح الباري) (١١ / ٣٤٤).



الأدبُ

الأدبُ هو: رياضةٌ محمودةٌ يُتَخَرَّجُ به الإنسانُ في فضيلةٍ من الفضائلِ.

وينقسمُ إلى ثلاثة أقسامٍ:

- ١- أدبٌ مع الله: بالقيامِ بدينه، والتأدبِ بآدابهِ ظاهرًا وباطنًا.
- ٢- أدبٌ مع رسولِ الله ﷺ: بكمالِ التسليمِ له، والانقيادِ لأمره، وتلقيِ خبره بالقبولِ والتصديقِ.
- ٣- أدبٌ مع الخلقِ: بمعاملتهم على اختلافِ مراتبهم بما يليقُ بهم فلكلِّ مرتبةٍ أدبٌ.

والأدبُ في الصَّغَرِ كالنَّقْشِ في الحَجَرِ، والأدبُ في الكِبَرِ كالكتابةِ في الماءِ.

عَوْدُ بَنِيكَ عَلَى الآدَابِ فِي الصَّغَرِ كَيْمَا تَقَرَّ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الكِبَرِ
فَإِنَّمَا مَثَلُ الآدَابِ تَجْمَعُهَا فِي عَنفَوَانِ الصَّبَا كَالنَّقْشِ فِي الحَجَرِ

* * *

شُكْرُ الْوَالِدَيْنِ

قد يَتَرَبَّى الْوَلَدُ بَيْنَ أَيْدِي آبَائِهِ كَرِيمِينَ أَحَدُهُمَا جَعَلَ تَرْبِيَّتَهُ عَلَى الْعَقِيدَةِ وَالْعِبَادَةِ مِنْ مَهْدِهِ نُصَبَ عَيْنَيْهِ، مَعَ قِيَامِهِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا قَدَرَ الْمُسْتَطَاعَ.

والثاني: يُؤَثِّرُهُ بِالدُّنْيَا وَيَكْسِبُ وَدَّهَ وَيُحْسِنُ صَحْبَتَهُ حَتَّى إِذَا شَبَّ وَتَرَعَرَ عَلَى خَيْرٍ وَسُنَّةٍ أَخَذَتْهُ بَعْضُ الْغَفْلَةِ أَوْ الْغَفْوَةِ عَنْ شُكْرِ أَحَدِهِمَا، وَهَذَا مِنَ الْخَلَلِ الْفَادِحِ وَالتَّقْصِيرِ الْكَبِيرِ فَكِلَاهُمَا يَجِبُ شُكْرُهُ.

﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤].

إذا كُنْتَ ذَا دِينٍ فَذَلِكَ مِنْهُ	من الله فاشكروه على سائر النعم
ولا تنسَ شُكْرَ الْوَالِدَيْنِ تَأْدُبًا	فلولاهما لم تعرف اللوح والقلم
ولولاهما لم تعرف الدين ساطعًا	ولولاهما قصيت عمرك في الظلم ^(١)

* * *

(١) قاله أستاذنا - حفظه الله - .

شُكْرُ الْمُحْسِنِ

الشكرُ هو: الاعترافُ بالفضلِ إزاءَ نعمةٍ صَدَرَتْ من المشكورِ بالقلبِ، أو اللسانِ، أو الجوارحِ، كما قيل:

أفادتُكمُ النعماءُ مني ثلاثةً يدي، ولساني والضميرَ المحجَّبَ (١)

يريدُ: أنَّ يَدَهُ، ولسانَهُ، وقلْبَهُ لكم فليس في القلبِ إلا المحبَّةُ، ولا في اللسانِ إلا الثناءُ، ولا في اليدِ إلا المكافأةُ.

وفي الحديثِ: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ» (٢).

قال الخطَّابي:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ شُكْرَ الْعَبْدِ عَلَى إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، إِذَا كَانَ الْعَبْدُ لَا يَشْكُرُ إِحْسَانَ النَّاسِ، وَيَكْفُرُ مَعْرِفَتَهُمْ لِاتِّصَالِ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ بِالْآخَرِ» (٣).

ومن الشكرِ ما جاء في الحديثِ:

«مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ» (٤).

(١) «ربيع الأبرار» للزمخشري (٥ / ٢٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٥٤) وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٠١).

(٣) معالم السنن للخطابي (٤ / ١١٣).

(٤) ؟.

وَمَنْ يَكْفُرِ الْمَخْلُوقَ فَهُوَ كَافِرٌ وَمَنْ يَشْكُرُ الْمَخْلُوقَ يَشْكُرُ لِرَبِّهِ

* * *



الإشاعة

الإشاعةُ هي: الخبرُ يَتَشَرُّ عَيْرُ مُثَبَّتٍ مِنْهُ.

وتُعتَبَرُ الإشاعةُ من أخطرِ الأسلحةِ المدمِّرةِ للفردِ والمجتمعِ والدُّولِ كُلِّ بِحَسَبِهِ.

وسببها عَدَمُ التَّبَيُّنِ من خَبَرِ الفَاسِقِ أو المَجهولِ: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦].

أو إذاعةُ الأخبارِ المُقلِّقةِ قَبْلَ الرجوعِ إلى أصحابِ الشَّأنِ ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ﴾ [النساء: ٨٣] أو اتخاذهُ البطانةِ السيِّئةِ: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧].

وأعظمُ الإشاعةِ جُرْمًا ما كان فيه انتهاكُ لحرمةِ مسلمٍ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩].

أي: تشيعُ ظلمًا وزورًا وبُهتانًا.

والعلاجُ بِحِفْظِ السَّمْعِ والبَصَرِ واللِّسانِ سِيِّمًا وقتَ الفِتَنِ ففي «صحيح مسلم» (١): «كفى بالمرءِ كذبًا أن يُحَدِّثَ بِكُلِّ ما سَمِعَ» وفي «الصحيحين» (٢):

(١) رواه مسلم (٥).

(٢) رواه البخاري (٥٦٧٢)، ومسلم (٤٧).

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

* * *



أصحاب الكهف (١)

أصحاب الكهف: سُموا بهذا الام نسبةً للكهف الذي استخفوا فيه، وقصّتهم من أحسن القصص: ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴿١٤﴾﴾ [الكهف: ١٣، ١٤].

أي نزل عليك في القرآن خبر الشباب بالصدق: أنهم صدقوا بتوحيد ربهم، وربط على قلوبهم بالصبر والثبات، والبصيرة في أمر دينهم، والانقطاع إلى ربهم. قال السعدي رحمه الله:

«في هذه القصة دليل على أن من فرّ بدينه من الفتن؛ سلمه الله منها، ومن حرص على العافية عافاه الله، ومن أوى إلى الله، آواه الله وجعله هاديًا مهديًا لغيره، ومن تحمّل الدّل في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبته العز» (٢).

* * *

(١) أصحاب الكهف والرقيم طائفة واحدة أضيفت إلى شيتين أحدهما معطوف على الآخر خلافًا

لمن قال: إنهم طائفتان.

(٢) تفسير السعدي (٤٧٣).

العلاجُ بالمالِ

قد يركبُك الدينُ كُلُّ مركبٍ، ومتى عَزَّ السدادُ خارتِ القُوى (أي: المَناعةُ)،
 وأسلمتْكَ للأسقامِ، وعلاجُك في المالِ لا غيرَ، والشواهدُ بحاجةٍ إلى سِفْرِ جليلٍ.
 ومن لطيفٍ ما يُذكرُ: أَنَّ المَعْلَى بنَ أيوبَ زارَ صديقًا له، فرأى به عِلَّةً وخِلَّةً،
 فأسَرَ إلى وكيَلِهِ، فقال:

اذهبْ وجِئني بخمسائةِ درهمٍ مختومةٍ في قرطاسٍ، فذهبَ وجاءهُ، ووَضَعَهَا
 بين يَدَيْهِ، فدفعَهَا إلى العليلِ، وقال له: هذا دواؤُك فاستعملهُ.
 ونَهَضَ، ففتَحَهَا العليلُ عن مُنيةِ المتمنيِّ، وغيرَ ما كانَ من حالِهِ، فلما كانَ
 الأسبوعُ عادَهُ ثانيةً، فرآه مُتمائلاً نشيطاً، فقال: كيفَ وجدتَ الدواءَ؟
 قال: يا سيِّدي، وجدْتُهُ نافعاً لِعَلَّتِي وحالي.

قال: أتريدُ زيادةً؟

قال: نعم يا مولاي.

فقال للوكيلِ: اذهبْ وجِئنا بمثلِ ذلكِ الدَّواءِ.

فذهبَ وجاءَهُ بخمسائةٍ أخرى، فكانَنا أنشَطَ العليلُ من عِقَالِ العِلَّةِ.

من فوائد السَّفَرِ

فوائد السَّفَرِ جَمَّةٌ غزيرةٌ، فلا يمكنُ حَصْرُها في سَبْعٍ! أو خَمْسٍ!

ذكر بعضُ أهلِ العلمِ خمسَ فوائدٍ فقال (١):

تَغَرَّبَ عن الأوطانِ في طَلَبِ العُلا
وسافرَ ففِي الأسفارِ خَمْسُ فوائدٍ
إزالةُ هَمٍّ واكتسابُ معيشةٍ
وعلمٌ وآدابٌ وصُحبةٌ ماجِدِ

ومَنْ طَوَّفَ الدنيا، ثم لا يُعَرِّجُ على بَكَّةَ فبضاعتهُ حِكْمَةٌ وفوائدهُ عِكَّةٌ.

السفرُ إلى بعضِ البلدانِ مَوْتُ القلبِ حاشا معاقلِ العلمِ بعد مكةَ ففيه حياةُ
القلبِ وسعادتهُ وراحتهُ.

وهل يَمَلُّ من السفرِ إلى مكةَ ذو توحيدٍ، ولو تَكَرَّرَ العُمُرُ، هيهاتَ؛ فهي أَحَبُّ
البلادِ إلى اللهِ وإلى رسولهِ وفيها حَرَمٌ اللهُ وفيه الكعبةُ المعظمةُ.

مما يرجعُ الطَّرْفُ عنها حينَ أبصرَها حتى يعودَ إليها الطرفُ مشتاقاً

* * *

(١) مجافي الأدب (٢/ ٢٤٨).



السفهاء

السفهاء جَمْعُ سَفِيهِ وهو الذي لا عَقْلَ له، ولا رَأْيَ وفي التنزيل: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء: ٥]؛ لِأَنَّ السَفِيهَةَ لَا يُحْسِنُ التَّدْبِيرَ، فَإِذَا فَعَلَ شَيْئًا فَمِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَلَا نَظَرٍ، كَذَلِكَ الْأَسْرَارُ لَا يُؤْتَمَنُ عَلَيْهَا.

والعقلاء يدارون السفهاء بأموالهم، وحلمهم وسكوتهم، ولا يلتفتون إلى ما يصدر منهم من السفه، فمن يعاتبهم، إنما يشتري حقدهم، ويربح عداوتهم، وأهل الرأي إنما يضربون السفهاء بالسفهاء، ومن نوابغ الحكيم: «ما قل سفهاء قوم إلا ذلوا»؛ لِأَنَّ سَفَهَاءَ قَوْمٍ جُنَّةٌ مِنْ سَفَهَاءِ قَوْمٍ آخَرِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِهِمْ، وَهَلْ تَعْدُو الذَّنَابُ إِلَّا عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ فَاجْعَلْ هَذَا مِنْكَ عَلَى بَالٍ.

* * *

أَخْنَعُ السُّفَهَاءِ

السُّفَهَاءُ مَشَارِبُهُمْ شَتَّى، وَأَخْنَعُهُمْ مِنْ رُزْقٍ بَعْضًا مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَكِنَّهُ سَرِيعٌ إِلَى إِسْقَاطِ الْأَكَابِرِ، وَتَصِيدُ عَثْرَاتِهِمْ؛ لَيْسْتَخْرَجَ مِنْهُمْ وَلَوْ كَلِمَةً يَطِيرُ بِهَا كُلُّ مَطَارٍ، فَمَثَلُ هَذَا السُّكُوتِ عَنْ جَوَابِهِ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنْ قَمْعِ الْحَدِيدِ، وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الرَّدِّ فَالْجَمَالَ أَنْ يَتَوَلَّى الدِّفَاعَ عَنْكَ غَيْرُكَ.

وَلَا يَدْخُلُ فِي السَّفَهِ مَنْ يَرْجِعُ لِلْأَكَابِرِ فِي الْقَضَايَا الْحَسَّاسَةِ، وَيَصْدُرُ عَنْهُمْ. وَمَنْ سَكَتَ عَنْهُ الْعُقَلَاءُ، وَلَمْ يَنْصَحُوا لَهُ فِي السَّرِّ أَوْ الْعَلَنِ، فَهُوَ - لَا شَكَّ - مَأْمُورٌ.

بَنِي هِلَالٍ، أَلَا فَانْهَوْا سَفِيهِكُمْ إِنَّ السَّفِيَةَ إِذَا لَمْ يُنْهَ مَأْمُورٌ

* * *



مجاراة السفهاء

قد يتعرّض لك سفيهٌ بالسّفهِ، فلا تَرُدَّ عليه، والزّم الصمتَ تَلزَمَكَ السلامة؛
لأنّك لَنْ تَغْلِبَهُ بالسّفهِ، إلا إذا اسْتَعَرْتَ منه ثوبَهُ وزِدْتَ عليه بالسّفهِ، فحينها قد
تغلبُهُ ولكنْ كُنْ على يقينٍ أنّك قد تُنكِرُ أخلاقك يوماً ما.

وأنا أخبرك أنه كان لي أخٌ سامي الأخلاقِ شكى لي استفزازِ بعضِ السفهاءِ
فقلتُ له: «دَعِ الشَّرَّ يَعْبُرْ» وأما أَنْ تَمَثِّلَهُ فليس في ذلك سدادٌ.

لكن ضاق صدرُهُ وتعرّضَ لِمَنْ تعرّضَ له، ثم عادَ مقهوراً مغلوباً، وما مِنْ
لفظةٍ قبيحةٍ قيلت فيه وسمِعها منهم إلا وقد قالها في كُلِّ مُحِبٍّ له حتى أنا والله لم
أسلم من شرِّه ويعلمُ اللهُ كم نصحنَا له، وصبرنا عليه، لكنّه كان كَمَنْ أُصِيبَ بداءِ
الكَلْبِ وتلك ثمرةُ مُجاراةِ السفهاءِ.

وصدق أبو تمام:

إذا جاريّت في خُلُقٍ دنيئاً فأنتَ وَمَنْ تُجاريه سِوَاءُ

* * *



الاستفزاز

الاستفزازُ هو الاستخفافُ وفي التنزيلِ: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾ [الإسراء: ٦٤] والاستفزازُ بضاعةُ السفهاءِ.

قال الشاعرُ:

يطيَعُ سَفِيهَةَ الْقَوْمِ إِذْ يَسْتَفْزِرُهُ وَيَعْصِي حَكِيمًا شَيْبَتَهُ الْهَزَاهِرُ

فالسفهاءُ يستفزون كلَّ ذي لُبٍّ رغبةً أَنْ يَتَزَيَّأَ بِرِيَّهِمْ، فكم من رجلٍ غلبهم بالسَّفَهَةِ فَصَارَ أَسْفَهَةً، وكم من رجلٍ غلبوه فَصَارَ مَخْبُولَ الْعَقْلِ، وأحياناً مَصِيرُهُ الْقَتْلُ، وَأَذْكَرُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَخٌ اسْتَوْفَقَهُ سَفِيهَةً فِي طَرِيقٍ وَحَاوَلَ اسْتَفْزَاؤَهُ فَقَالَ لَهُ: نَتَحَاوَرُ مَعَ الْحَجَرِ وَلَا نَتَحَاوَرُ مَعَكُمْ، فَصَوَّبَ إِلَيْهِ السَّفِيهَةَ طَلْقَةً مِنْ سِلَاحٍ كَانَ مَعَهُ ذَهَبَتْ بِنَفْسِهِ.

يَا قَوْمُ الصَّمْتُ عَنْ كُلِّ مُسْتَفْزٍ سَلَامَةٌ لِلنَّفْسِ وَالْعَقْلِ وَالْعَرَضِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَى الْمُسْتَفْزِ مِنْ قَمْعِ الْحَدِيدِ.

وَمَا يُنْسَبُ لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ:

إِنَّ الْجَوَابَ لِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحُ

قَالُوا سَكْتُ وَقَدْ خوصمتُ قَلْتُ لَهُمْ

وفيه - أيضًا - لَصَوْنِ الْعَرَضِ إِصْلَاحُ

وَالصَّمْتُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ شَرَفٌ

أما ترى الأسد تُخشى' وهي صامتهُ
والكلبُ يخسى - لعمري - وهو نبأح^(١)

* * *

(١) دواوينُ الشعرِ العربيِّ (٩ / ٢٣٧).

الهُمُّ

الهُمُّ يُطْلَقُ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَخَافُ مِنْهُ الْإِنْسَانُ مُسْتَقْبَلًا، وَهُوَ نَقِيضُ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحُزْنِ وَالْغَمِّ كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللهُ: «الْمَكْرُوهُ الْوَارِدُ عَلَى الْقَلْبِ، إِنْ كَانَ عَلَى أَمْرٍ مَاضٍ أَحْدَثَ الْحُزْنَ، وَإِنْ كَانَ مِنْ مُسْتَقْبَلٍ أَحْدَثَ الْهَمَّ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَمْرٍ حَاضِرٍ أَحْدَثَ الْغَمَّ» (١).

وهذه الثلاثة تُهْدِمُ صِحَّةَ الْإِنْسَانِ.

والهُمُّ يَخْتَرِمُ الْجِسْمَ نَحَافَةً وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ فِيهِرَمٌ

ومن أسبابِ الْهَمِّ قَطْعُ الصَّلَاةِ بِاللَّهِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْ ذِكْرِهِ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤].

وعلاجُهُ بِالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ، وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، وَالْإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعَاصِي.

ومن أدوية الْهَمِّ تَنَاسِي الْهَمِّ، وَعَدَمُ التَّفَكِيرِ فِيهِ، بَلْ تَنَاسِي الْمَرَضِ الْعَضْوِيِّ أَوْ الْوَهْمِيِّ أَفْضَلُ دَوَاءٍ مُضَادٍّ لَطَرْدِهِ.

* * *

الْغَمُّ

الْغَمُّ من المكروهاتِ الواردةِ على القلبِ، ويكونُ في الوقتِ الحاضرِ خلافًا للحزنِ، فيكونُ على أمرٍ ماضٍ، والهِمُّ على أمرٍ مستقبلٍ، وهو - أيضًا - مع الهمِّ والحزنِ من الأشياءِ التي تفتِكُ بصحَّةِ الإنسانِ.

بل من الْغَمِّ ما يقتلُ. وسببه الإعراضُ عن الله والإقبالُ على الدنيا، وغالبًا ما يكونُ سببه مخالفةُ أمرِ الله، وأمرِ رسوله ﷺ، وهل أصابَ المسلمين في غزوةٍ أُحُدٍ من الْغَمِّ إلا بسببِ مخالفةِ رسولِ الله ﷺ لكنَّ الله ﷻ عفا عنهم وأنزلَ عليهم النَّعَاسَ ليزيلَ ما بهم من الْغَمِّ قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ومن نزلَ به غَمٌّ فعليه بالتوبةِ والإقبالِ على الله ولزومِ الدعاءِ سيِّمًا ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

قال جعفرُ الصادقُ رَحِمَهُ اللهُ عَجِبْتُ لِمَنْ أَصَابَهُ غَمٌّ ثُمَّ لَا يَقُولُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقد قال الله ﷻ بعدها: ﴿وَجَئِنَّمَا مِنَ الْغَمِّ﴾ [الأنبياء: ٨٨].



الْحَزَنُ

الْحَزَنُ هُوَ ضَيْقُ الصَّدْرِ عَلَى شَيْءٍ مَضَى، وَالْحَزَنُ لَا يَجْلِبُ مَنْفَعَةً وَلَا يَدْفَعُ مَضْرَّةً، فَلَا فَائِدَةٌ فِيهِ، بَلْ مِنْهَيٌّ عَنْهُ حَتَّى فِي أَصْعَبِ الْمَوَاقِفِ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. أَي: لَا تَضْعُفُ أَبْدَانُكُمْ، وَلَا تَحْزَنُ قُلُوبُكُمْ؛ بِسَبَبِ مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْمَصَائِبِ، فَإِنَّ الْحَزْنَ زِيَادَةَ مَصِيبَةٍ، وَسَبَبٌ لِاسْتِظْهَارِ عَدُوِّكُمْ.

وقال النبي ﷺ لصاحبه وهو في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

واستعاذ النبي ﷺ من الحزن بقوله: «اللهم [إني] أعوذُ بك من الهمِّ والحزنِ». ومن أسبابه كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الرغبة في الدنيا، والحرص عليها، والتقصير في أعمال البرِّ والطاعة».

وزاد غيره: «الظنُّ بأنَّ علوَّ أهلِ الباطلِ، وظلمهم سيدومُ، والحزنُ لِعَدَمِ استجابتهم للحقِّ» (١).

* * *

(١) عُدَّةُ الصابرين (٢٥٦).



التَوْتُرُ

يُعرفُ التَوْتُرُ بأنه استجابةُ الإنسانِ لِصُغُوطِ الحياةِ اليوميَّةِ، والتَوْتُرُ ليس مذمومًا على كُلِّ حالٍ، فَمِنَ التَوْتُرِ ما يدفعُكَ إلى العملِ الذي ينفَعُكَ ويرفَعُكَ، فقد تكونُ مسجونًا بتهمةٍ ظالمةٍ فيحيطُ بك التَوْتُرُ من كُلِّ جانبٍ فتحوُّلُ هذا التَوْتُرِ إلى محمودٍ فتجعلُ من السجنِ خلوةً لك مع الله، وحفظِ القرآنِ والقراءةِ في دواوينِ السُّنَّةِ، وقد يحصلُ لك أذيةٌ من أناسٍ فتحوُّلُ هذا التَوْتُرِ إلى محمودٍ فتجعلُ من السجنِ خلوةً لك مع الله، وحفظِ القرآنِ والقراءةِ في دواوينِ السُّنَّةِ، وقد يحصلُ لك أذيةٌ من أناسٍ فتحوُّلُ توترِكَ إلى السموِّ بنفسِكَ عن مجاراةِ سفليةٍ، وأعظمُ رَدِّه هو منافستهم في الفضائلِ، وفي العفوِّ راحةً لك من التَوْتُرِ.

ومتى واجهتَكَ مشكلةٌ فلا تنفعلْ وفكرٌ بهدوءٍ في حلِّ مشاكلِكَ، وحاولِ الاسترخاءَ بين حينٍ وآخرَ.

وإذا لم تغتنيمِ الزَّمنَ صارَ التَوْتُرُ مذمومًا يؤثِّرُ على تديُّنِكَ وأخلاقِكَ، وأما الصحةُ فتؤكِّدُ بعضَ الدراساتِ أن نحوًا من نصفِ الأمراضِ سببُها التَوْتُرُ.



القلق

القلق كما عرّفه بعض العلماء بأنه عدم الارتياح، مع ميل إلى عدم استقرار، ولا يكون القلق مصبوغاً بالحزن، بل قد يختفي وراء مَرَحٍ مصطنع، ونشاطٍ ظاهر، ومصدره رَحْمُ الحضارة الحديثة بصخبها وتعقيدها، ولم يكن موجوداً قبل ذلك.

يقول بعض العلماء: القلق لِيَصَّ ماكراً خبيثاً، يتسلل ببطء، ولكن إذا ما تمكّن يذهبُ بجنونٍ فائق السرعة، وأول ما يسرق سعادة الإنسان وابتسامته ثم يأتي بعد ذلك على كُلِّ خيرٍ في حياته، وسببه فراغُ الروح من الإسلام والعمل به، وفراغُ الجسد من العمل النافع.

وقديماً قيل:

إنَّ الشَّبَابَ والفِراغَ والجِدَّةَ مفسدةٌ للمرءِ أيُّ مفسدةٍ
والغربُ الكافرُ لم يَهْتَدِ لعلاجِ القلقِ حتى مؤلفُ كتابِ «دَعِ القَلَقَ» مات
منتحراً لأنه أعرَضَ عن الإسلامِ.

وصدق الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤].

* * *

بُشْرَى الْمُؤْمِنِ

من يعمل الصالحات التي ترضي الله، ولم يقصد بها سواه، إذا حمدته الناس عليها من غير تعرضٍ منه لحمدهم، فهي البُشْرَى المعجّلة له بالخير وفي «الصحيح»: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» (١).

أي دليل رضا الله وحبّه له، بدليل ما جاء في «صحيح البخاري»: «... ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ» (٢).

قال العلماء - رحمهم الله - : «البُشْرَى الْمُعَجَّلَةُ دَلِيلُ الْبُشْرَى الْمُؤَخَّرَةِ ﴿بُشْرَانِكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ﴾ [الحديد: ##]، وَالْمُؤْمِنُ تَسْرُهُ تِلْكَ الْبُشْرَى وَلَا تَعْرُهُ» (٣).

إذ حمد الناس الفتى دون سعيه إلى حمدهم كانت دليلاً على البُشْرَى
إذا شاء ربّي أن يبشّر عبده أتاح له من ليس يخفي له ذكرا (٤)

* * *

(١) رواه مسلم (٢٦٤٢).

(٢) رواه البخاري (٣٢٠٩).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (٨ / ٤٨٨).

(٤) قَالَهُ أَسْتَاذُنَا - حَفِظَهُ اللَّهُ - .

من جهل شيئاً عاداهُ

قال الماوردي رحمه الله عند قول الله ﷻ: ﴿[]﴾: فمنع سبحانه المساواة بين العالم والجاهل، لما قد خص به العالم من فضيلة العلم.

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]: فنفي أن يكون غير العالم يعقل عنه أمراً، أو يفهم منه زجراً.

وقال: وليس يجهل فضل العلم إلا أهل الجهل؛ لأن فضل العلم إنما يعرف بالعلم... فلما عديم الجهال العلم الذي به يتوصلون إلى فضل العلم، جهلوا فضله، واسترذلوا أهله. وفي منشور الحكيم: العالم يعرف الجاهل؛ لأنه كان جاهلاً، والجاهل لا يعرف العالم؛ لأنه لم يكن عالماً^(١).

جهلت فعاديت العلوم وأهلها كذاك يُعادي العلم من هو جاهله^(٢)

* * *

(١) أدب الدنيا والدين (٣٦).

(٢) دواوين الشعر العربي (١٥ / ٢٢٥).

الْجَزْلُ وَالرَّقِيقُ مِنَ الْأَلْفَاظِ

الألفاظُ تنقسمُ إلى قسمين:

جزلةٌ أو رقيقةٌ.

ولِكُلِّ موضعُها.

فالجزلُ هو المتينُ على عذوبتهِ في الفم، ولذاذتهِ في السَّمْعِ.

وموضِعُهُ: الحروبُ وقوارعُ التهديدِ والتخويفِ، وأشباهُ ذلك.

والرقيقُ هو اللطيفُ الرقيقُ الحاشيةِ الناعمِ الملمَسِ وموضِعُهُ: استجلابُ

المودَّاتِ، والملايناتِ، والاستعطافِ، وأشباهُ ذلكَ وتجدُ مثلاً كوصفِ الجزلِ في

قوارعِ القرآنِ عندَ ذكرِ الحسابِ، والعذابِ، وما جرى هذا المعجى.

والرقيقُ عندَ ذكرِ الرحمةِ، والمغفرةِ والملاطفاتِ في خطابِ الأنبياءِ وما جرى

هذا المعجى.

فمثالُ الأوّلِ وهو الجزلُ من الألفاظِ في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ

مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ

يَنْظُرُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ٦٨ إلى ٧٤].

وأما المثالُ التالي وهو الرقيقُ قال تعالى: ﴿وَالضُّحَى﴾ ... إلى آخرِ السورةِ.

ومثال آخر في ترغيب المسألة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ
الِدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

* * *



الفراغُ

الفراغُ خِلافُ الشغلِ، وهو نعمةٌ من نعمِ اللهِ ففي «البخاري»^(١) من حديثِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناسِ: الصحةُ والفراغُ».

مغبونٌ: أي محرومٌ من الانتفاعِ بها كثيرٌ من الناسِ.

والفراغُ يُورثُ الوسواسَ، ويرهنُ النفسَ، ويُحصِدُ الفكرَ، وهل يتسلطُّ الشيطانُ على الإنسانِ بخواطرِ السوءِ إلا حينَ يكونُ فارغاً.

فأشغلُ نفسِكَ بقراءةِ القرآنِ، أو طلبِ العلمِ، أو ذِكْرٍ، أو أمرٍ بمعروفٍ ونَهْيٍ عن منكرٍ فقد قيل: نفسُكَ إذا لم تشغلها بالحقِّ شغلتك بالباطلِ.

إنَّ الفراغَ والشبابَ والجِدَّةَ مفسدةٌ للمرءِ أيُّ مفسدةٍ^(٢)

* * *

(١) «رواهُ البخاريُّ» (٦٠٤٩).

(٢) موسوعةُ الشعرِ الإسلامي (١١٧ / ١).

لا يُلدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرَّتينِ

جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُلدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرَّتينِ».

فقوله: لا يُلدَغُ: من اللدغ: وهو الإصابة من ذوات السموم كالعقرب والحية. وقوله: من جُحْرٍ: هو الثقب الذي تحفره الهوامُّ والسباع لأنفسها. والمعنى: أن المؤمنَ لا يَقَعُ في نفسِ الخطيئة مرةً بعد أخرى، بل يعتبرُ بما أصابه من الماضي.

وإذا كان هذا في أمور الدنيا ففي أمور الدين آكدُ فإذا أذنب، يتألم ولا يعودُ، وإذا كاده الشيطانُ مرةً حذرَ منه ألفَ مرَّةٍ، وإذا لدغَ بذنوبٍ وسائلِ التواصلِ مرَّةً أخذَ حذرَهُ، قبلَ أن يتكرَّرَ الشرُّ؛ ومتى تكرَّرَ الشرُّ الواردُ على القلبِ أصابه مرضٌ، وعلامةُ مرضه؛ أنه لا يشعُرُ بالمعاصي والمنكراتِ، وعدمُ الندمِ على ما فعله من الذنوبِ والمعاصي ومن ذلك النَّظَرُ إلى صورِ النساءِ!

وقد قيل: القلبُ الذي يُحَسِّنُ الحَسَنَ، ويُبَيِّحُ القبيحَ سليمٌ وإلا فلا. إذا مَضَّتِ الأوقاتُ من غيرِ طاعةٍ ولم يكُ محزونًا فذا أعظمُ الخَطْبِ

(١) رواه البخاريُّ (٥٧٨٢)، ومسلمٌ (٣٤٨).

علامة موت القلب أن لا ترى به حراكاً إلى التقوى وميلاً عن الذنب^(١)

* * *

(١) سلامة العَصْرِ في محاسن الشعراء بَكُلِّ عَصْرِ (١٢٠).



حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ

حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ هَذَا مَثَلٌ ذَكَرَهُ الْمِيدَانِيُّ فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ (١).

ومعناه أَنَّ حُبَّكَ لِلشَّيْءِ يُعْمِيكَ عَنِ مَسَاوِيئِهِ، وَيُصِمُّكَ عَنِ اسْتِمَاعِ الْعَدْلِ فِيهِ. فلا تَمْنَعَنَّكَ خَلَّةٌ مِنْ تَوَاضُعِي أَنْ تَبْذُلَ لَهُ النَّصِيحَةَ، وَأَنْ تَقُولَ لَهُ فِي وَجْهِهِ مَا يَكْرَهُ، فَإِذَا لَمْ يَقْبَلْ، وَكَانَ الْخَطَأُ مِمَّا لَا يُعَدَّرُ فِيهِ صَاحِبُهُ ففِي النَّاسِ أَبْدَالٌ وَفِي التَّرِكِ رَاحَةٌ، أَمَا أَنْ تَتَمَسَّكَ تَمَسَّكَ الْبَخِيلِ بِمَالِهِ، فَلَا تَأْمَنَ أَنْ يُعْدِيكَ فِسَادُهُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ.

وما يَنْفَعُ الْجِرْبَاءَ قُرْبُ صَاحِبِهِ... إِلَيْهَا، وَلَكِنَّ الصَّاحِبَةَ تَجْرِبُ (٢)

* * *

(١) (١ / ٧٨).

(٢) من رَحِيقِ الشُّعْرِ (٥٧).

وَقَرَّ نَفْسَكَ تُهَبِّ

(وَقَرَّ نَفْسَكَ تُهَبِّ) هذا مثلٌ عزيزٌ أوردَهُ المِيدَانِيُّ فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ (١) وَيَدُلُّنَا عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ حِكْمَةٍ وَتَجَارِبَ لَمْ تَكُنْ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ، وَهَذَا الْمَثَلُ كُنْتُ قَدْ كَتَبْتُهُ عَلَى الْجِدَارِ فَوْقَ رَأْسِي - أَيَّامَ الطَّلَبِ - بِخَطِّ رَقِيقٍ بِحَيْثُ لَا يَرَاهُ غَيْرِي لِأَجْلِ تَرْوِضِ النَّفْسِ عَلَيْهِ، فَمَا أَحْوَجَ طَالِبَ الْعِلْمِ لِتَوْقِيرِ نَفْسِهِ؛ فَتَوْقِيرُهُ لِنَفْسِهِ تَوْقِيرٌ لِلْعِلْمِ، وَالنَّاسُ - بِفَطْرَتِهِمْ - إِنَّمَا يُقْبَلُونَ عَلَى مَنْ يُوَقِّرُ نَفْسَهُ، وَيَثِقُونَ بِهِ، وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ، فَإِذَا جَلَسَ لِلْعِلْمِ، أَوْ صَعَدَ الْمِنْبَرَ، أَوْ تَكَلَّمَ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ فَالْنُّفُوسُ نَحْوَهُ وَآمِقَةٌ، وَالْقُلُوبُ بِهِ وَائِقَةٌ، وَالْعُقُولُ لَهُ مُوَافِقَةٌ.

* * *

مَنْ دَخَلَ ظَفَارَ حَمَّرَ

(مَنْ دَخَلَ ظَفَارَ حَمَّرَ) هذا مثلٌ ذَكَرَهُ غَيْرٌ وَاحِدٍ وَمِنْهُمْ أَبُو عُبَيْدٍ فِي كِتَابِهِ (الأمثال) (١) وَظَفَارُ قَرْيَةٌ فِي الْيَمَنِ، وَمَعْنَاهُ: تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ حَمِيْرٍ، وَالْمَقْصُودُ: مَنْ يَدْخُلُ بِلَادًا يَصِيبُهُ مِنْ طَبَاعِ أَهْلِهَا قَالَ ابْنُ يَعِيشَ فِي شَرْحِ الْمَفْصَلِ (٢): (يُضْرَبُ لِمَنْ يَتَلَبَّسُ بِقَوْمٍ، فَيَصِيرُ عَلَى خُلُقِهِمْ).

قُلْتُ: لَا ضَيْرَ عَلَى مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ فِي الْخَيْرِ، لَكِنَّ الْغَالِبَ عَلَى النَّاسِ مَا ذَكَرَهُ أَحَدُ الْأَسْلَافِ: «أَعْرِفْ كَثِيرًا مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِي الَّذِينَ عَاشَرُوا الْإِفْرَنْجَ لَمْ تَسْتَرِقْ طَبَاعَهُمْ مِنْهُمْ إِلَّا الرِّذَائِلَ دُونَ الْفَضَائِلِ».

وَهَذَا صَحِيحٌ فَكَمْ رَأَيْتُ - وَأَنَا فِي الْيَمَنِ - رِجَالًا هَمَّتْهُمْ جَذْوَةُ نَارٍ، عِلْمًا، وَعَمَلًا، وَدَعْوَةً، ثُمَّ رَأَيْتَهُمْ فِي غَيْرِ الْيَمَنِ وَهَمَّتْهُمْ ذُبَالَةُ السَّرَاحِ.
وَقَدْ يُفْسِدُ الْمَرْءَ بَعْدَ الصَّلَاحِ فَسَادُ الْأَمَاكِنِ وَالشَّرُّ يُعْدِي

* * *

(١) (٢٤٩).

(٢) (٣ / ٦٩).

إِنَّ الْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ

إِنَّ الْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ هَذَا مَثَلٌ أوردَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْمِيدَانِيُّ فِي مَجْمَعِ
الْأَمْثَالِ (١).

وَالْبُغَاثُ: طَيْرٌ دُونَ الزَّحْمَةِ، وَاسْتَنْسَرَ: صَارَ كَالنَّسْرِ فِي الْقُوَّةِ عِنْدَ الصَّيْدِ بَعْدَ
أَنْ كَانَ مِنْ ضِعَافِ الطَّيْرِ.

وَالْمَثَلُ: يُضْرَبُ لِلضَّعِيفِ يَصِيرُ قَوِيًّا، وَلِلذَّلِيلِ يَعْزُ بَعْدَ الذَّلِّ.

فَكَمْ مِنْ رِجَالٍ كَانُوا بَغَاثَ طَيْرٍ صَارُوا بِالْعِلْمِ وَالسَّنَةِ نُسُورًا دَأَبُوا الدُّنْيَا
بِأَقْدَامِهِمْ، فَنَعَمَ الرِّجَالُ هُمْ؛ لَوْ دَاوَمُوا عَلَى شُكْرِ النِّعْمَةِ وَسُؤَالِ الثَّبَاتِ، مَا دَامَ
فِيهِمْ عَيْنٌ تَطْرُقُ.

* * *

جَمَالِكَ

جَمَالِكَ. هذا مَثَلٌ سائرٌ أوردَهُ الميدانيُّ في مَجْمَعِ الأَمْثَالِ (١).

ومعناه: الزَّمُ ما يُورِثُكَ الجَمَالَ، يعني أَجْمِلُ ولا تفعلُ ما يَشِينُكَ.

والجَمَالُ الحَدِيثُ عنه يَحْتَاجُ إلى أَسْفارٍ، وها أَنَا أَجْمَعُ لك الجَمَالَ كُلَّهُ في كَلِمَاتٍ وهي: (التَّاسِيَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ في أَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَأَحْوَالِهِ). وليس هذا بِدَعَاٍ من القَوْلِ فَقَدْ سَبَقَنِي إلى هذا الإِمَامِ ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ في كِتابِهِ (الأَخلاقُ وَالسَّيْرُ: ٢٤): «من أَرَادَ خَيْرَ الأَخِرَةِ وَحِكْمَةَ الدُّنْيَا وَعَدَلَ السَّيْرَةَ والاحتِواءَ على مَحاسِنِ الأَخلاقِ كُلِّها وَاسْتِحْقاقَ الفَضائلِ بِأَسْرِها فَلْيَقْتَدِ بِمُحَمَّدٍ رَسولِ اللهِ ﷺ وليستعملْ أخلاقَهُ وَسِيرَهُ ما أَمَكَنَهُ أَعاننا اللهُ على الإِتِّساءِ بِهِ بِمَنِّهِ آمين».

* * *

في كُلِّ وادٍ بَنُو سَعْدٍ (١)

«في كُلِّ وادٍ بنو سَعْدٍ» هذا مَثَلٌ يُضْرَبُ لاسْتِواءِ النَّاسِ في الشَّرِّ، وله قِصَّةٌ: أَنَّ رَجُلًا من بني سَعْدٍ، - هُم قَوْمُهُ - آذَوْهُ فَأَرْتَحَلَ عَنْهُمْ وَحَلَّ بِآخِرِينَ فَحَصَلَتْ لَهُ مِنْهُمْ أَدِيَّةٌ وَهَكَذَا حَتَّى طَافَ بِكَثِيرٍ من أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَإِذَا هُم كَذَلِكَ فَقَالَ: «في كُلِّ وادٍ بنو سَعْدٍ»!

وَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، وَهَذَا صَحِيحٌ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْجُو من النَّاسِ سَالِمًا، بَلْ مَا سَلِمَ اللهُ من بَعْضِ خَلْقِهِ، وَلَا أَنْبِيَاؤُهُ، وَلَا أَوْلِيَاؤُهُ فَكَيْفَ تَرْجُو السَّلَامَةَ لِنَفْسِكَ يَا مَسْكِينٌ؟!

ليس يخلو المرء من ضد ولو حَاوَلَ الْعُزْلَةَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ (٢)

* * *

(١) «مجمع الأمثال» (١ / ١٠٥).

(٢) «المحاضرات والمحاولات» (٢٤٩).



حديث: «السعيدُ من اتعظَ بغيره»

التقيتُ في مكةَ بطالبِ علمٍ مَمَّنْ كانت له هِمَّةٌ عظيمةٌ في التنقُّلِ بين الشيوخِ
يغدو خَمِصًا ويروح بَطْنًا، وأيامَ الجمعِ في القرى والمدنِ دعوةً.

فقلتُ له: ما جاء بك؟!!

قال: العملُ!

قلتُ له: ما كنتَ عليه من الخير هو العملُ.

قال: لولا ديدنٌ أثقلتُ الكاهلَ ما تركتُ طلبَ العلمِ.

فيا طالبَ العلمِ، السعيدُ من اتَّعظَ بغيره.

فكنْ على حذرٍ من الدينِ؛ فإنه يصرفُكَ عن الخيرِ، وخُذْ منه أخذَ المضطرِّ

الميتةِ، ولا تتوسَّعْ فيتفرَّقَ همُّكَ!

فإنَّ العلمَ لا يُنالُ براحةِ الجِسمِ.

* * *



مَنْ يقرأ في أخلاق الكبار يتعجب من عظيم أخلاقهم وصبرهم على الشدائد
 فقد ذكر الصفيُّ رَحِمَهُ اللهُ في الوافي بالوفيات في ترجمة الحافظ ابن عبد الهادي أنه
 تناظر مع أحد الفقهاء من كبار الحنابلة في مسألة فثبت ابن عبد الهادي، وأما الآخرُ
 فغضب حتى بصق في وجه ابن عبد الهادي، فمسح ابن عبد الهادي البصاق ثم
 قال: «أما هذا فطاهرٌ - أي: البصاقُ - بإجماع المسلمين لكن هاتِ ما عندك إن
 كان عندك شيء؟».





مجاراة السفهاء

قد يتعرض لك سفيهٌ بالسَّفهِ، لا تُعْرِهُ الطرفَ والزمِ الصمتَ تلزمك السلامةُ،
لأنَّكَ لن تغلبه بالسَّفهِ إلا إذا استعرتَ منه لسانه وزدَّت عليه.
وأنا أخبرُكَ أنه كان لي أخٌ سامي الأخلاقِ استفزه بعضُ السفهاء فقلتُ له:
«دَعِ الشَّرَّ يَعْبُرْ».

لكنَّه لم يشأه أن يصبرَ، وتعرَّضَ لِمَنْ تعرَّضَ له فما تذهبُ الأيامُ إلا وقد صار
أسفَهَ مَنْ عرفتُ، ولم يسلمْ من شرِّه المحبُّ والناصحُ فاحذَرِ مجاراةَ السفهاءِ.
إذا جاريَتَ في خُلُقٍ دنيئًا فَأَنْتَ وَمَنْ تُجاريهِ سواءُ

* * *

من أسباب تسلُّطِ الشيطان

أرسل لي بعض طلاب العلم رسالةً ذكرَ فيها ما حصلَ له من البلاءِ والمِحَنِ عن قدميه؛ حتى أصبح يرى أشباحًا، ويسمَعُ أصواتًا أشدَّ من الأولى.

فقلتُ له: إنَّ مَنْ حصلَ له نوعٌ بلاءٍ من شياطينِ الإنسِ، ولم يكنْ منزلهُ إلا إلى العزلةِ والهمومِ وكثرةِ التفكيرِ بمنْ آذاهُ؛ تسلَّطَ عليه شياطينِ الجنِّ، بالوساوسِ، والأفكارِ الرديئةِ، وقد يتسلَّطون عليه بالأذيةِ، حتى يتركَ ما هو عليه من الخيرِ، ولو كان مفرعُهُ إلى الله بالتوبةِ، والاستغفارِ لوجدَ سكينَةً وراحةً بالٍ، كَمَنْ دخل النارَ وخرَجَ ذهبًا.

* * *

إن كيدَ الشيطانِ كانَ ضعيفاً

أرسلَ بعضُ الشبابِ رسالةً يشكو فيها من سِحْرِ أثرٍ عليه، وأخبره عن طلبِ العلمِ.

فقلتُ: اعلمْ - يا بني - أن الشيطانَ يؤذي الصالحينَ أكثرَ من غيرهم لكنْ ﴿وَمَا هُمْ بِضَّالِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] فما يضركُ إلا ما قدَّرَ اللهُ لك فتوَّ رجاءك بالله، وحصَّنْ نفسك بالأذكارِ اليومية، وقبلَ ذلك تقوى اللهُ واجتنابُ المعاصي.

ثم اعتقادك أنَّ فيك سحراً، أو مساً، أو عيناً، هذا أكثرُ ما يكونُ أوهاماً، وحتى لو كان حقيقةً فلا ينبغي أن تشغلَ نفسك به؛ لأنَّ ذلك يُضعفُ النفسَ ويمكنُ للشيطانِ فيك، ولا يعزُبُ عنك أنَّ الشيطانَ يجري من ابنِ آدمَ مجرى الدمِّ، وأنَّ كلَّ إنسانٍ معه شيطانٌ، وأنَّ الشيطانَ كالكلبِ الغريبِ إنما يتجرأُ على الذي يفزعُ من ظِلِّهِ».

* * *

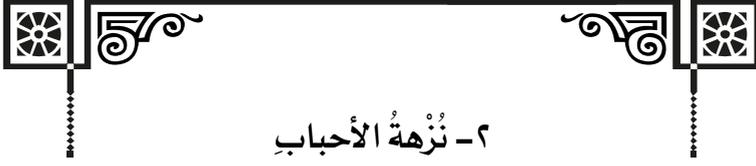
١- كَيْفَ تُنالُ مَحَبَّةُ اللهِ؟

اشْتَمَلَ عَلَى ذِكْرِ:

الْحُبِّ وَالْمَحَبَّةِ مِنْ صِفَاتِ اللهِ، وَعَلَامَاتِ مَحَبَّةِ اللهِ لِلْعَبْدِ، وَالْأَسْبَابِ الَّتِي
يَنالُ بِهَا الْعَبْدُ مَحَبَّةَ اللهِ، وَجَعَلْتُ الْإِخْتِصَارَ لَهُ عِقَالًا، وَالْإِيْجَازَ لَهُ مَجَالًا، فَلَفْظُهُ
حُلَّةٌ، وَمَعْنَاهُ حَلِيَّةٌ، فَخُذْهُ وَلَوْ بِقُرْطِيِّ مَارِيَّةَ.

وَرَوْضَةٌ مِمَّنْ رِياضِ الْفِكْرِ، دَبَّجَهَا صَوْبُ الْقَرَائِحِ لَا صَوْبُ مِنَ الْمَطْرِ
كَأَنَّمَا نَشَرْتَ أَيْدِي الرِّبِيعِ بِهَا بُرْدًا مِنَ الْوَشْيِ أَوْ ثَوْبًا مِنَ الْحَبْرِ

* * *



٢- نزهة الأحاب شُرح منظومة الآداب

«الألْفِيَّةُ فِي الآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ، لِلْإِمَامِ ابْنِ عَبْدِ الْقَوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ ، بَدِيعَةُ الْحُسْنِ
حَوَتْ مِنْ كُلِّ نَوْعِ زَهْرَةٍ، وَمَهْمَا قُلْتُ؛ فَلَا أَحَدٌ وَصَفًا أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ نَاطِمِهَا:
فَمَا رَوْضًا حَفَّتْ بِنُورِ رَيْعِهَا بِسَلْسَالِهَا الْعَذْبِ الزَّلَالِ الْمُبَرَّدِ
بِأَحْسَنَ مِنْ أَيْبَانِهَا وَمَسَائِلِ أَحَاطَتْ بِهَا يَوْمًا بِغَيْرِ تَرَدُّدِ
وَأُخْبِرُكَ أَنِّي عَشْتُ مَعَهَا أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ حَجَّةً أَكْتَشَفُ غَامِضَهَا، وَأَرْتَشِفُ
رَحِيقَهَا، حَتَّى سَمَتُ بِي نَفْسِي إِلَى أَنْ أَلْبَسَهَا حُلَّةً تَسْتَعْنِي بِهَا عَنْ غَيْرِهَا مِنْ
الْحُلْلِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ وُقِّتُ.

وَهَا هِيَ الْحُلَّةُ بَيْنَ يَدَيْكَ، سَمَّيْتُهَا «نُزْهَةُ الْأَحَابِ».

فَدُونِكَ مَا نُهْدِي فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ يَقِينًا مِنَ الْأَصْلِ الْأَصِيلِ الْمُؤَطَّدِ؟

* * *

٣- الصَّحِيحُ مِنَ الْأَثَرِ فِي خُطْبِ الْمَنْبَرِ

اشْتَمَلَ عَلَى نُصُوصٍ مِنَ الْوَحْيَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْغَيْثُ الْمُبَارَكُ.
قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا﴾ [ق: ٩].

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ (١) مِنْ حَدِيثِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ».

كَمَا اشْتَمَلَ عَلَى فَهْمِ السَّلَفِ.

وَمَا كَتَبْتُ خُطْبَةً إِلَّا وَخَيْلٌ لِي حِينَهَا أَنِّي عَلَى الْمَنْبَرِ أَخْطُبُ فِي النَّاسِ؛
حِرْصًا عَلَى الْأَسْلُوبِ الْخِطَابِيِّ وَرُوحِهِ.

فَدُونُكَ عَذْبًا مِنْ نَمِيرٍ مُسْلَسَلٍ كَأَنَّ رَحِيقَ النَّحْلِ يَمْزُجُ رَافِدَهُ (٢)
«وَفِيهِ شِفَاءٌ لِابْنِ آدَمَ إِنْ تَطَفَّ بِمَعْمَلٍ طِبِّ غَيْرِهِ لَسْتَ وَاحِدَهُ» (٣)

* * *

(١) أخرجه الترمذي (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣٨٤٨).

(٢) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث (٤٦).

(٣) معارضة لأخي الأديب مصطفى بن راضي.

٤- دَفءُ الْمَشَاعِرِ فِي الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ

تَطَرَّقْتُ فِيهِ إِلَى مَوْضُوعِ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ مِنْ جُذُورِهَا؛ ابْتِدَاءً مِنْ حُسْنِ اخْتِيَارِ
شَرِيكِ الْحَيَاةِ، وَالصِّفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ الْمَطْلُوبَةِ فِي كُلِّ مِنْهُمَا، مَعَ ذِكْرِ الْحُقُوقِ
الزَّوْجِيَّةِ تَفْصِيلاً، وَانْتِهَاءً بِذِكْرِ صُورٍ مِنْ بَيْتِ النُّبُوَّةِ.

وَأُخْبِرُكَ أَنِّي نَثَرْتُ عَلَيْهِ نَصَائِحَ عَزِيْزَةً لِحَيَاةِ زَوْجِيَّةٍ سَعِيدَةٍ، وَرَاعَيْتُ حُسْنَ
الْعَرْضِ وَحَلَاوَةَ اللَّفْظِ.

«وَكُلُّ امْرِئٍ يُهْدِي عَلَى قَدْرِ وَسْمِهِ فَدُونَكَ مَا نُهْدِي فَهَلْ أَنْتَ قَابِلُهُ؟»^(١)

* * *

(١) ديوان ابن مشرف (٢٠٩).

وعارض هذا القول أخونا مصطفى بن راضي بن حساني الجزري المصري:

قبلتُ ومالي بالاثابة طاقة
ولكن عزاء المرء أمر نبيه
وليس لدى من الجزأ ما يقابله
جزاك الغني خيراً وذا أنا قائله

٥- هَمَّةُ الْمُلُوكِ

اسْتَهَلَّتْ الْكِتَابَ بِتَمَهِيدِ شَيْقٍ، ثُمَّ ذَكَرَ أَسْبَابَ دُنُوِّ الْهَمَّةِ، ثُمَّ أَسْبَابَ عُلُوِّ الْهَمَّةِ، ثُمَّ ثَمَرَاتِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ، ثُمَّ صُورًا مِنْ عُلُوِّ الْهَمَّةِ، وَحَالِيَتُهُ بِكُلِّ لَوْنٍ جَمِيلٍ.

عَذْبٌ كَانَ ذِكِّي الْمِسْكِ خَالِطَهُ وَالزَّنَجَبِيلِ وَمَاءِ الْمُرْنِ وَالشَّهْدِ

وَأُخْبِرُكَ أَنَّ أَصْلَهُ رِسَالَةٌ لِرَمِيْلِ كَانَتْ لَهُ هَمَّةٌ كَانَتْهَا جَذْوَةٌ نَارٍ تُضِيءُ الطَّرِيقَ لِمَنْ حَوْلَهَا، وَكُنْتُ أَنَا مِمَّنِ اسْتَنَارَ بِتِلْكَ الْهَمَّةِ، ثُمَّ خَبَتِ تِلْكَ الْهَمَّةُ، وَخُجِمَدَ مَجْرُهَا، وَبَقِيَتْ مِنْهَا بَقِيَّةٌ سَمَتِ بِي هَمَّتِي إِلَى أَنْ أَنْفَخَ فِيهَا مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، فَعَادَتْ كَانَتْهَا شَرَارَةٌ، فَمَا كَانَ مِنِّي إِلَّا حَذْفُ اسْمِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ، وَجَعَلَهَا عَامَةً؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ:

فَخُذْهَا مُشْعِشَعَةً هَمَّةً تَصُبُّ عَلَى اللَّيْلِ ثُوبَ النَّهَارِ

* * *

٦ - صِنَاعَةُ الرَّجَالِ

اشْتَمَلَ عَلَى ذِكْرٍ:

الرُّجُولَةَ وَسِمَاتِهَا، وَحَاجَةَ الْأُمَّةِ إِلَيْهَا، وَقُوَّةَ الشَّخْصِيَّةِ بِعُيُونِ أَرْبَابِهَا، وَعَرَضِ
أَهْمِّ قَوَاعِدِهَا فِي شَخْصِ نَبِيِّنا ﷺ فَإِذَا هِيَ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا، وَذَكَرْتُ أَنَّ قُوَّةَ
الشَّخْصِيَّةِ تُقَابِلُهَا الرُّجُولَةُ الْحَقَّةُ، وَدَلَّلْتُ عَلَى ذَلِكَ، وَذَكَرْتُ أَسْبَابَ اكْتِسَابِ
الرُّجُولَةِ، وَخَتَمْتُ بِذِكْرِ أَسْبَابِ تَنْمِيَةِ رُجُولَةِ الْأَطْفَالِ، فَجَاءَ الْكِتَابُ مِنْ أَصْغَرِ
الدَّوَاوِينِ حَجْمًا لَكِنَّهُ كُنِيفٌ مُلَى عِلْمًا.

وَمَا صُنِعَ الرَّجَالُ بِنَفْخِ صَدْرٍ وَلَا عَضْدٍ بِحَقْنِ أَوْ بَالَةٍ
وَلَكِنَّ الرَّجَالَ لَهُمْ مَصَانِعٌ تَرَاهَا شَامِخَاتٍ فِي رِسَالَةٍ (١)

* * *

(١) قالها أخي مصطفى بن راضي.

٧- فَنُ الحِوَارِ

اشْتَمَلَ عَلَى:

أُصُولِ الحِوَارِ، وَآدَابِهِ، وَصِفَاتِ المُحَاوِرِ النَّاجِحِ، وَأَخْبِرُكَ أَنَّهُ وُلِدَ مِنْ رَحِمِ
 الحَاجَةِ إِلَى طَرِيقِ هَذَا البَابِ وَالتَّأَكِيدِ عَلَيْهِ فِي أَوْسَاطِ طَلَبَةِ العِلْمِ، وَالدَّعَاةِ، وَبِقَدْرِ
 مَا يَكُونُ الدَّاعِيَةُ مُتَمَكِّنًا مِنْ هَذَا الفَنِّ مُحِيطًا بِجَوِّ ابْنِهِ، بِقَدْرِ مَا يَكُونُ أَقْدَرَ عَلَى
 النَّجَاحِ، وَلَمَّا كَانَ الإِنْسَانُ مَجْبُولًا عَلَى السَّامَةِ وَالْمَلَلِ، فَقَدْ حَلَيْتُهُ بِوَأَشِي الحُلَلِ.
 وَضَمَّنَ صَدْرُهُ مَا لَمْ تَضْمَنَّ صُدُورُ الغَايَاتِ مِنَ الحُلِيِّ
 فَكَائِنٌ فِيهِ مِنْ مَعْنَى بَدِيعٍ وَكَائِنٌ فِيهِ مِنْ لَفْظِ بهِي
 بِقَدْرِ مَا يَكُونُ كَذَلِكَ فَسَيَكُونُ أَقْدَرُ...

* * *

٨- الابتلاءُ السُّنَّةُ الباقيةُ

اشْتَمَلَ عَلَى:

- الإِبتِلاءُ بِالسَّرِّاءِ.

- الإِبتِلاءُ بِالضَّرِّاءِ.

- الإِبتِلاءُ بِالْمَعْاصِي.

- الإِبتِلاءُ بِالطَّاعَاتِ.

وَفَصَّلْتُ كُلَّ قِسْمٍ تَفْصِيلاً بِمَا لَهُ مِنْ فَضَائِلٍ، وَآدَابٍ، وَحِكْمٍ وَأَحْكَامٍ.

وَجَاءَتِ الْخَاتِمَةُ بِذِكْرِ صُورٍ مِنْ إِبْتِلاءِ الْأَنْبيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

وَكُلُّ ذَلِكَ بِأَسْلُوبٍ تَغْلِبُ عَلَيْهِ السَّلَاسَةُ كَأَنَّ عَلَيْهِ سَائِقًا عَجِلاً وَحَادِيًا.

فَلَا تَقْصُرْ بِكَ هِمَّتُكَ عَنْ مَعْرِفَةِ فَفْهِ الإِبتِلاءِ؛ فَإِنَّكَ فِي دَارِ الْبَلَاءِ.

طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ

* * *

٩- الأَخْلَاقُ بَيْنَ الطَّبَعِ وَالتَّطَبُّعِ

اشْتَمَلَ عَلَى ذِكْرِ:

تَمْهِيدٌ بِذِكْرِهِ مَتَى تَكُونُ الأَخْلَاقُ طَبْعًا؟ وَمَتَى تَكُونُ تَطَبُّعًا؟ ثُمَّ ذِكْرٌ: أَهْمِيَّتِهَا،
ثُمَّ ذِكْرُ الأَسْبَابِ المُعِينَةِ عَلَى اكْتِسَابِهَا، ثُمَّ صُورٌ مِنَ الأَخْلَاقِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى
المُسلِمِ التَّحَلِّيَ بِهَا.

وَأَلْبَسْتُهُ الوَشْيَ بِهَجَةٍ وَحُسْنًا، إِذَا تَصَفَّحَهُ أُدِيبُ حَلٍّ مِنْهُ بِوَادٍ خَصِيبٍ.
فَجَاءَ كَأَنَّ الرُّوضِ فِيهِ مُنَوَّرٌ ضُحَى وَكَأَنَّ الوَشْيَ فِيهِ مَنْمَنٌ

* * *

١٠- مَنْ تَصَاحِبُ؟

اشْتَمَلَ عَلَى ذِكْرٍ:

أَهْمِيَّةِ الصَّاحِبِ وَتَأْثِيرِهِ فِي الْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ، وَصِفَاتِ الصَّاحِبِ الصَّالِحِ، وَصِفَاتِ الصَّاحِبِ غَيْرِ الصَّالِحِ، وَجَاءَتِ الْخَاتِمَةُ بِذِكْرِ أُلْفَةِ الْأَخْيَارِ وَأُلْفَةِ الْأَشْرَارِ.

وَأَخْبِرُكَ أَنَّ أَصْلَ الْكِتَابِ رِسَالَةٌ كَتَبْتُهَا لِأَحَدِ أَبْنَائِي تَذَكِيرًا لَهُ، وَإِجَابًا لِحَقِّهِ، ضَمَّنْتُ ذَلِكَ طَرْفًا مِنَ الْحُجَجِ الْبَالِغَةِ، وَالْأَخْبَارِ الشَّائِقَةِ، وَالْأَبْيَاتِ الرَّائِقَةِ؛ لِيَجِدَ فِي فَهْمِهَا مُسَاعِفَةً، وَفِي التَّحْلِيِّ بِالْأَدَابِ مُكَانِفَةً^(١) وَأَنِّي لَمَّا وَجَدْتُ الثَّمَرَةَ مُضَاعَفَةً، رَأَيْتُ أَنْ يُشَارِكَهُ إِخْوَانُهُ غُنْمَهَا، وَعَلَيْنَا غُرْمُهَا؛ فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ:

«خَيْرُ الْعِلْمِ مَا حُوْضِرَ بِهِ»^(٢).

أَيُّ أَنْفَعُ الْعِلْمِ مَا حَضَرَ وَقْتُ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَكَانَ بَدِيهَةً كَمَا قَالَ الْحُطَيْئَةُ:
فَهَذَا أَبْدِيَةٌ لَا كَتَحْيِيرِ قَائِلٍ إِذَا مَا أَرَادَ الْقَوْلَ زَوَّرَهُ شَهْرًا^(٣)

* * *

(١) كانفة مكانفة: عاونة (اللسان: كنف).

(٢) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١ / ٢٤١)، و«الأمثال» لأبي عبيد (١٠١).

(٣) محاضرة الأدباء (١ / ١١٢).



١١- وَاهِمٌ

وَقَفَاتٌ مِنْ وَقَعِ الْحَيَاةِ

اشْتَمَلَ عَلَى ذِكْرِ أُمُورٍ: يَظُنُّ النَّاسُ أَنَّ الْحَقَّ فِيهَا وَالصَّوَابُ خِلَافُهَا، وَلَمْ
أَقْتَصِرْ عَلَى كَوْنِ أَوْ فَنٍّ بَلْ اخْتَرْتُ مِنْ كُلِّ بُسْتَانٍ زَهْرَةً، وَمِنْ كُلِّ رَوْضَةٍ ثَمَرَةً،
وَحَرَّضْتُ عَلَى الْإِبْتِكَارِ فِي الْمَعَانِي وَالْأَفْكَارِ، فَجَاءَ شَاهِدُ الْبِنَاءِ، رَائِقُ الْغِنَاءِ، فَائِقُ
الْأَرْجَاءِ.

أُهْدِي أَكَالِيلَ تَبَقَى فِي نَضَارَتِهَا لَا كَالْأَكَالِيلِ مِنْ وَرْدٍ وَرِيحَانِ
أَزْهَارُهَا خَالِدَاتٌ بِهَجَّةٍ رَشَدًا لَا يُجْتَنَى مِثْلُهُ مِنْ كُلِّ بُسْتَانِ

* * *

١٢- دَلِيلُكَ إِلَى الْفِرَاسَةِ

اشْتَمَلَ عَلَى ذِكْرِ:

أَهْمِيَّةَ الْفِرَاسَةِ، وَحَاجَةَ النَّاسِ إِلَيْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ الْأَسْبَابَ الْمُعِينَةَ عَلَيْهَا مَعَ ذِكْرِ
مَوَانِعِهَا، وَأَقْسَامِهَا، وَكَيْفِيَّةَ التَّفَرُّسِ، وَخَتَمَتْ بِذِكْرِ صُورٍ مِنَ الْمُتَفَرِّسِينَ.
وَأُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أُوفِّرْ جُهْدًا فِي سَبِيلِ ضَبْطِهِ وَتَحْرِيرِهِ، فَوَجَّهْتُ وَسِيمٌ، وَفَضَّلُهُ
جَسِيمٌ، وَرِيحُهُ نَسِيمٌ.

هَذَا كِتَابٌ قِيمٌ أَلْقَيْتُ بِهِ
نِيرَانُ صَبُوتِهِ وَبَرْدُ سَلَامِهِ
طُوبَتْ عَلَى قَلْبِي صَفَائِحُ طَرْسِهِ
وَسَوَادُ عَيْنِي كَانَ مِنْكَ خِتَامِهِ

* * *

١٣- أسرار التوفيق

اشتملت هذه الرسالة على ذكر: أهميّة التوفيق، وعلاماته، والطرق الموصلة إليه، وأتبعته بذكر الخذلان، وسوء عاقبته، وعلاماته، وأسباب البعد عنه مع روائع ألفاظ مفتنة، ومعانٍ في أحشائها، مجتنة.

كَالتَّبْرِ أَفْقًا وَالزَّبْرِ جِدِ رِبْوَةً وَالْمَسْكِ تُرْبًا وَاللُّجَيْنِ مَعِينًا
وَقَفَ الْحَيَا مِنْ دُونِهَا مُسْتَأْذِنًا وَمَشَى النَّسِيمُ بِظِلِّهَا مَأْذُونًا

* * *

١٤- الْعَسَلُ الْمُصَفَّى

مِنْ سِيرَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ

اشْتَمَلَ عَلَى ذِكْرِ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَوْلِدِهِ حَتَّى التَّحَاقِهِ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى.
وَتَمَيَّزَ بِأَمْرَيْنِ.

١- التِّزَامُ الصَّحَّةَ.

٢- الْأُسْلُوبَ الْأَدَبِيَّ.

مَعَ ذِكْرِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بِحَسَبِ الْمَوَاطِنِ الْمُتَرَابِطَةِ وَكَأَنَّكَ تَعِيشُ فِي عَصْرِ
النُّبُوَّةِ خُطْوَةً بِخُطْوَةٍ، وَتَرَى النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ عَيَانًا.

وَتُرِيدُ فِي دُيَاكَ أَنْ تَلْقَاهُ	إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
أَخْبَارَهُ وَحَدِيثَهُ وَخُطَاهُ	وَيَهْزُكَ الشُّوقُ الْعَظِيمُ لِأَنْ تَرَى
يَفِرُّ كَأَنَّكَ فِي السُّطُورِ تَرَاهُ	فَعَلَيْكَ بِالْعَسَلِ الْمُصَفَّى؛ إِنَّهُ
قَدْ صَحَّ عِنْدَ الْعَارِفِينَ شذَاهُ	سَارَ الْمُؤَلَّفُ فِيهِ مُتَّقِيًا لِمَا
وَبِأَجْمَلِ الْأَشْعَارِ قَدْ حَلَّاهُ	وَتَجَنَّبِ الْخَبَرَ الضَّعِيفَ مُنْزَهَا

* * *

١٥- جَفَافُ الْمَشَاعِرِ

اشْتَمَلَ عَلَى ذِكْرِ: جَفَافِ الْمَشَاعِرِ، أَسْبَابِهِ وَعِلَاجِهِ.
 وَبَدَأَ بِذِكْرِ جَفَافِ الْمَشَاعِرِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ ذَكَرَ جَفَافَ الْمَشَاعِرِ مَعَ الْأَوْلَادِ،
 وَالْأَزْوَاجِ، وَالْأَرْحَامِ، وَالْحِجْرَانِ، وَالْحُكَّامِ، وَالْعُلَمَاءِ وَالْإِنْخَوَانِ.
 وَأَخْبَرَكَ أَنِّي أَلْبَسْتُهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا يَلِيقُ بِهِ، وَمِنَ الْمَعَانِي مَا يَزِينُهُ، وَمِنْ دَفْعِ
 الْمَشَاعِرِ مَا يُغْنِيهِ.

كِتَابٌ جَاءَ بَيْنَ الْكُتُبِ بِدَعَاً وَقَدْ أَهْدَيْتُهُ فِي النَّاسِ بِدَعَاً
 إِذَا مَا نَالَ مِنْكَ شَرِيفَ لِحْظِ فَقَدْ بَاهَى نَفِيسَ الدُّرِّ وَقَعَاً

* * *

١٦- أَوْسِمَةُ الْمُجَاهِدِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى تَعْرِيفِ الْجِهَادِ، وَأَنْوَاعِهِ، وَحُكْمِهِ وَأَحْكَامِهِ كَمَا
اشْتَمَلَتْ عَلَى ذِكْرِ أَكْثَرِ مِنْ خَمْسِينَ وَسَامًا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ الصَّحِيحَةِ هَبَّةً مِنْ
اللَّهِ لِمَنْ نَوَى الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلِمَنْ جَاهَدَ، وَلِمَنْ فَازَ بِالشَّهَادَةِ.

وَجَاءَتِ الْخَاتِمَةُ بِذِكْرِ أَسْبَابِ النَّصْرِ، وَأَلْبَسَتْ جِيدَهَا عِقْدًا، وَمَفْرَقَهَا تَاجًا
فَلَمْ تَسْتَطِعْ عَنْهَا مَعَاجَا وَلَمْ تُفْضِلْ عُنْصَرَ التَّشْوِيقِ وَالْإِثَارَةَ عِنْدَ كُلِّ مُنْعَطَفٍ
وَإِشَارَةٍ، فَمَا تَتَرَقَّى هِمَّةُ الْإِخْلَالِ إِلَى قِرَاءَتِهَا، وَلَا تَسْلُطُ السَّامَةُ عَلَى عُدُوتِهَا
وَحَلَاوتِهَا.

أَتَتْهَا، وَلَمْ تَخْطُبْ لِنِكْسٍ مُدَمِّمٍ
وَيُفْصِحُ مِنْ لَفْظِ الْعَيْيِّ الْمُجْمَعِ

فَخُذَهَا حِصَانًا لَمْ تَزَنْ بِرِيَّةٍ
يُشَجِّعُ مِنْ قَلْبِ الْجَبَانِ نَشِيدُهَا

* * *

١٧- سُقْطَرَى جَزِيرَةُ الْأَحْلَامِ:

مَشَاهِدٌ، عَجَائِبٌ، غَرَائِبُ

اشْتَمَلَ عَلَى ذِكْرِ جَزِيرَةِ سُقْطَرَى وَمَا فِيهَا مِنْ جَمَالِ الطَّبِيعَةِ وَهُدُورِهَا الَّتِي
حَبَّأَهَا اللَّهُ، مَا يَجْعَلُ أَجْمَلَ الْجَمِيلَاتِ تَدْرِي خَجَلًا مِنْ جَمَالِهَا الْأَخَاذِ.

وَاشْتَمَلَ عَلَى ذِكْرِ مَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ جَمَالِ أَهْلِهَا الْمَعْنَوِيِّ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى
امْتِلَاءِ نُفُوسِهِمْ مِنْ جَمَالِ مَا حَوْلَهُمْ.

وَأُخْبِرُكَ أَنَّ الْبِرَاعَ^(١) اسْتَمَدَّ إِحْيَاءَ اتِّهِ مِنْ وَهَادِهَا، وَنَجَادِهَا، سَهْلِهَا، وَعَرِهَا،
عَامِرِهَا، غَامِرِهَا، وَنَضَارَةَ الْفِطْرَةِ فِي نُفُوسِ أَهْلِهَا وَرَاعَيْتُ فِيهَا الْإِيجَازَ
وَإِلْخْتِصَارَ جَرِيًّا مَعَ الْقَائِلِ: «مَتَى كَانَ الْإِيجَازُ كَافِيًّا كَانَ الْإِكْتِثَارُ حِمِيًّا»

جَزِيرَةٌ لَيْسَ يُضَاهِي حُسْنَهَا فِي سَائِرِ الدُّنْيَا وَلَا آفَاقِهَا
فَأَرُضُهَا مِثْلَ السَّمَاءِ بِهَجَّةٍ وَزَهْرُهَا كَالزُّهْرِ فِي إِشْرَاقِهَا

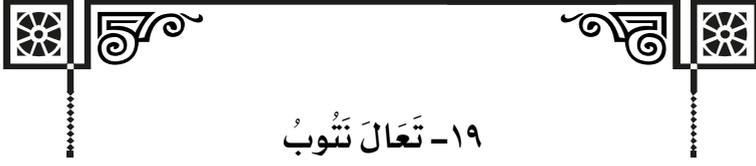
* * *

١٨- صِنَاعَةُ الْكِتَابَةِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ الْوَسَائِلِ وَالْأُسُسِ الْمُعِينَةِ عَلَى صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ، وَأَسْبَابِ الْإِزْتِقَاءِ بِهَا وَالتَّمَرُّنِ وَالتَّوَسُّعِ عَلَى نَمَطِ كَلَامِ الْبُلْغَاءِ، مَعَ ذِكْرِ مُهِمَّاتٍ فِي تَأْلِيفِ الْكُتُبِ، وَرَسْمِ خُطَّةِ التَّأْلِيفِ، وَجَاءَتِ الْخَاتِمَةُ بِذِكْرِ نَصَائِحَ وَتَوْجِيهَاتٍ.

وَأُخْبِرُكَ أَنِّي تَأَنَّقْتُ، وَانْتَقَيْتُ، وَسَهَّلْتُ، وَتَلَطَّفْتُ، وَهَدَّبْتُ، حَتَّى رَضَيْتُ.
 إِنَّ الْكِتَابَةَ مِرَاةٌ لِصَاحِبِهَا فَكُلَّمَا خَاضَ فِيهَا بَانَ وَاتَّضَحَا
 فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ مِرَاةً نَرَاكَ بِهَا إِنَّ الْإِنَاءَ بِمَا أَوْدَعْتَهُ نَضَحَا

* * *



١٩- تَعَالَ تَتُوبُ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ: التَّوْبَةِ أَهْمِيَّتِهَا، فَضْلِهَا، حُكْمِهَا، أَحْكَامِهَا، أَنْوَاعِهَا، شُرُوطِهَا، ثَمَرَاتِهَا، وَمَا يُتَابُ مِنْهُ، وَعَلَامَاتِ التَّوْبَةِ الْمَقْبُولَةِ، وَمَا يُعِينُ عَلَى التَّوْبَةِ، وَجَاءَتِ الْخَاتِمَةُ بِذِكْرِ بَيَانِ عَاقِبَةِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي مَعَ التَّحْذِيرِ مِنَ الْإِسْتِهَانَةِ بِالتَّوْبَةِ.

أَظُنُّ الرِّبْعَ الْآنَ قَدْ جَاءَ تَاجِرًا فَفِي الشَّمْسِ بَزَازًا وَفِي الرِّيحِ عَطَّارًا
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تُوَاجِهَ وَجْهَهُ وَتَقْضِيَ بَيْنَ الْوَشْيِ وَالْمَسْكِ أَوْ طَارًا

* * *

٢٠ - ظُلُمَاتُ الظُّلْمِ

اشْتَمَلَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى ذِكْرِ:

الظُّلْمِ الْعَظِيمِ، ظَلَمَ الْإِنْسَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، ثُمَّ ذَكَرَ ظُلْمِهِ لِغَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ بِذِكْرِ
الظُّلْمِ حَقِيقَتِهِ، أَسْبَابِهِ، آثَارِهِ، دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَالتَّحْدِيدِ مِنْهَا، صُورًا مِنْ عُقُوبَةِ
الظَّالِمِ، وَجَاءَتِ الْخَاتِمَةُ بِذِكْرِ التَّوْبَةِ مِنَ الظُّلْمِ.

فَجَاءَ الْكِتَابُ أَعَزَّ وَأَحْلَى مِنْ أَنْ تَمَلَّ قِرَاءَتُهُ الْعُيُونَ النَّوَاطِرُ حَتَّى تَمَلَّ نَسِيمَ
السَّحَرِ الرَّيَاضِ الْعَوَاطِرُ.

مُكَرَّرَةٌ الْفَاطِنَا فِي فُصُولِهِ فَإِنْ نَحْنُ أَتَمَمْنَا قِرَاءَتَهُ عُدْنَا
إِذَا مَا نَشَرْنَاهُ فَكَالْمِسْكِ نَشْرُهُ وَنَطْوِيهِ لَا طَيِّ السَّامَةِ بَلْ ضَنَّأ

* * *



اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى تَعْرِيفِ مُرَاعَاةِ الْمَشَاعِرِ، وَمَنْزِلَتِهَا فِي الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ، وَصُورٍ مِنْ مُرَاعَاةِ الْمَشَاعِرِ بِشَيْءٍ مِنَ التَّوَسُّعِ، ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ يُرَاعِي
مَشَاعِرَهُمْ.

فَجَاءَتِ الرَّسَالَةُ أَلَدَّ مِنَ السَّلْوَى، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبَ مِنَ الْمِسْكِ.
تَغَارُ إِذَا قَيْسَتْ لَطَافَةُ خَدِّهَا بِنَفْحَةِ أَزْهَارٍ وَنَسْمَةِ أَسْحَارِ
إِذَا رُدَّدَتْ زَادَتْ قَبُولًا كَأَنَّهَا أَحَادِيثُ نَجْدٍ لَا تَمَلُّ بِتَكَرَّارِ

* * *

٢٢- حُسْنُ الْجَوَارِ خُلُقِ الْأَبْرَارِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى أَرْبَعِينَ حَدِيثًا صَحِيحًا؛ مِنْهَا مَا جَاءَ فِي فَضْلِ
حُسْنِ الْجَوَارِ، وَمِنْهَا فِي حُقُوقِ الْجَارِ وَالْوَصِيَّةِ بِهِ، وَمِنْهَا فِي التَّحْذِيرِ مِنْ أَذِيَّةِ
الْجَارِ.

مَعَ شَرْحِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ شَرْحًا وَافِيًا بِالْغَرَضِ، جَامِعًا لِمَا يُشْنَفُ السَّمْعَ
بِحُسْنِ الْعَرَضِ، وَيُورِقُ الْخَاطِرَ بِشَرِّهِ الْعَاطِرِ.

وَجَاءَتِ الْخَاتِمَةُ بِذِكْرِ خُلَاصَةِ حَقِّ الْجَارِ، مَعَ ذِكْرِ التَّقْصِيرِ الْكَبِيرِ فِي هَذَا
الْحَقِّ.

كَسَّتِ الْحَدَاثَةُ ظَرْفَهَا وَجَمَالَهَا نُورًا فَمَسَاءُ ثِيَابِهَا يَخْتَالُ
فَكَأَنَّهَا وَالْكَأْسَ فَوْقَ بَنَانِهَا شَمْسٌ يَمُدُّ بِهَا إِلَيْكَ هِلَالَ

* * *

٢٣- كَيْفَ نَتَّعَامَلُ مَعَ نَبِيعِ الْحَنَانِ؟

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ فَضْلِ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَالْأَدَبِ مَعَهُمَا فِي حَيَاتِهِمَا
بِشَيْءٍ مِنَ التَّوَسُّعِ، وَجَاءَتْ الْخَاتِمَةُ بِذِكْرِ الْأَدَبِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا، وَأُخْبِرُكَ
أَنَّهُ

حَفَّهَا أَنْوَاعُ الزَّهْرِ الْعُضِّ، فَمِنْ بَيْنِ أَصْفَرَ فَاقِعٍ، وَأَحْمَرَ سَاطِعٍ وَأَبْيَضَ نَاصِعٍ.
يُفْتَقِّهَهَا بَرْدُ النَّدَى فَكَأَنَّهُ يَيْثُ حَدِيثًا كَانَ قَبْلُ مُكْتَمًا
وَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرَّبِيعُ لِبَاسَهُ عَلَيْهِ كَمَا نَشَرْتَ وَشِيمًا مُنْمَمًا

* * *

٢٤ - حَادِي الصَّدِيقِ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْعَتِيقِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ خُرُوجِ الْكَاتِبِ إِلَى الْعُمْرَةِ حَتَّى عَوْدَتِهِ إِلَى
بَيْتِهِ يَصِفُ لَكَ الْفِيَاضَ الْمُرُوجَا، وَالرِّيَاضَ الْخَضِرَاءَ، وَالسُّهُولَ الْخَضِيبَةَ كَأَنَّكَ
عَصَافِرٌ يَنْبِضُ قَلْبُكَ مَعَ النَّبَاتِ، وَيَهْتَرُ لِسِحْرِ الطَّبِيعَةِ وَمَزَجَ لَكَ صِفَةَ الْحَجِّ
وَالْعُمْرَةِ وَأَدَابَ الْمُسَافِرِ كَجَدَاوِلِ الْمَاءِ إِلَى الرِّيَاضِ، لَا تَمَلُّ لَهُ حَدِيثًا، وَخُطَى
الْبَصْرِ تَسْعَى بَيْنَ أَسْطُرِهِ حَيْثِيًّا؛ لِأَنَّهُ مَعْجُونٌ بِالْجَمَالِ الْجَدَابِ لِلنُّفُوسِ.

خَرَجْنَا وَسِترُ اللَّهِ يَجْمَعُ شَمَلْنَا وَكُلُّ لِكُلِّ مُسْعِدٍ وَمُسَاعِفٍ
وَقَدْ أَخَذَتْ زَهْرُ الرِّيَاضِ حَلِيهَا وَالْبَسَتْ الْأَرْضَ الْفَضَا الزَّخَارِفُ

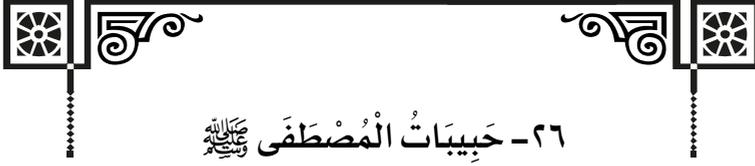
* * *

٢٥- جُرْحُ الْمَشَاعِرِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ الْكَلِمَاتِ الْجَارِحَةِ، وَأَنَّهَا تُسَبِّبُ جُرْحًا حَقِيقِيًّا فِي الدِّمَاجِ، وَتُؤْمِتُ عِدَّةَ خَلَائِيَا، وَبَيَانٍ أَنَّ أَكْثَرَ الْجُرُوحِ مِنْ قِبَلِ اللِّسَانِ، وَذِكْرٍ مَنْ يَتَأَلَّمُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ مَعَ ذِكْرِ صُورٍ مِنْ جُرْحِ الْمَشَاعِرِ بِشَيْءٍ مِنَ التَّوَسُّعِ، وَتَحْتَ كُلِّ صُورَةٍ عِلَاجُهَا.

بِأَسْلُوبٍ رَائِقٍ، وَكَلِمَاتٍ عَذْبَةٍ تُهَيِّجُ الشَّجِيَّ، وَتُحَرِّكُ أَوْتَارَ الْقُلُوبِ.
 حُلُوُّ التَّسْلُسُلِ مَوْجُهُ وَخَرِيرُهُ كَأَنَّا مِلَّ مَرَّتْ عَلَى أَوْتَارِ
 مَدَّتْ سَوَاعِدُ مَائِهِ وَتَأَلَّقَتْ فِيهَا الْجَوَاهِرُ مِنْ حَصَى وَجَمَارِ

* * *



٢٦- حَبِيبَاتُ الْمُصْطَفَى ﷺ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى سِيرَةِ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَذَكَرَ فَضَائِلَهُنَّ رَاعِيَتْ فِيهِ التَّرْتِيبَ، وَالتَّوْصِيفَ، بِسَوْقِ الْكَلِمَاتِ مُتَنَاسِقَةً لَا مَرَّاسَلَةَ بَدَدًا، وَمُتَنَازِمَةً لَا طَرَائِقَ مَدَدًا.

مَصَادِرُهَا مَحْمُودَةٌ وَالْمَوَارِدُ	لَهَا شِرْعَةٌ فِي كُلِّ حَالٍ نَقِيَّةٌ
وَتَرَوِي الْبَهِيَّ أَنَّهُارُهُ وَالسَّوَاعِدُ	غَذَاهَا الْبَيَانُ الْعَذْبُ تَهْمِي سَحَابَةٌ
إِلَى طَرْفٍ مِنْ كُلِّ ضَرْبٍ فَوَائِدُ	فَصُولٌ عَلَى تَنْوِيعِهَا اجْتَمَعَتْ بِهَا

* * *

٢٧- صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ:

قَوَاعِدَ سَهْلَةٍ، وَوَسَائِلَ مُبْتَكِرَةٍ، لِحِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مُعَزَّزَةً بِالشَّوَاهِدِ،
وَالْتَّجَارِبِ وَالْأَمْثَلَةِ مَعَ ذِكْرِ الْأَطْعِمَةِ الْمُعِينَةِ عَلَى تَقْوِيَةِ الذَّاكِرَةِ.

كَعُرُوسٍ تَزْهُو بِحُسْنِهَا الْغَيْرُ مَجْلُوبٌ، فَلَا تَرْضَى بِتَقْطِيعِ الْأَيْدِي دُونَ
الْقُلُوبِ.

أَتَتِكَ مُحَلَاةً تُزَفُّ كَأَنَّهَا
وَكَمْ أَهْدَاهَا إِلَّا وَنَفِي تُحِبُّهَا
عُرُوسٌ تُوَافِي بَعْلَهَا لَيْلَةَ الْعُرْسِ
وَلَكِنْ نَفْسِي أَثْرَتَكَ عَلَى نَفْسِي

* * *

٢٨- أَوْسَمَةُ حَافِظِ الْقُرْآنِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى أَرْبَعِينَ حَدِيثًا فِي فَضْلِ حَافِظِ الْقُرْآنِ مَعَ الشَّرْحِ
كَثِيرٍ رَاقٍ مَبْسُومٍ، وَكُلُّهَا أَوْسَمَةُ نَافِعَةٌ مُبَارَكَةٌ تُبَيِّنُ مَا لِحَافِظِ الْقُرْآنِ مِنْ سُمُوِّ
الْمَنْزَلَةِ، وَرَفِيعِ الدَّرَجَةِ، وَعُلُوِّ الْمَكَانَةِ.

لَا كَتَلِكَ الْأَوْسَمَةَ الَّتِي تُعَلِّقُ عَلَى الصُّدُورِ وَلَا تَقَعُ عَلَيْهَا قِيَمَةٌ، فَدُونَكَ هَدِيَّتِي
تُزَفُّ إِلَيْكَ فَإِنَّمَا «نَزَلَتْ سُلَيْمَى بِسَلِيمٍ»
فَدُونَكَ مِنْ أَبْكَارِ عِلْمِي رَسُولًا
مِنَ الْحَاشِدِيِّ تَعَدُّوْا إِلَى خَيْرِ خَاطِبٍ

* * *

٢٩ - فَاهِمٌ مَفَاتِيحِ الْقُلُوبِ

اَشْتَمَلَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى ذِكْرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَرْءُ مِنْ أُسْلُوبِ التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ، كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُرْجَى الْحَيَا مِنْهُ، وَلَمْ أَقْتَصِرْ عَلَى لَوْنٍ؛ لِأَنَّ الرُّوْضَ أَلْوَانَ، وَالْحَدَائِقَ أَفْنَانًا، فَقَدْ صُعُتُهُ عَلَى هَذَا الْمَصَاغِ الْفَائِقِ، وَسَبَكْتُهُ عَلَى هَذَا الْقَالِبِ الرَّائِقِ.

هَذَا كِتَابٌ بَدِيعٌ فِي مَحَاسِنِهِ
فَكُلُّ مَا فِيهِ إِنْ مَرَّ اللَّيْبُ بِهِ
ضَمَّتُهُ كُلَّ شَهْدٍ خَلَّتُهُ حَسَنًا
وَكَمْ يَشْمُ عَيْبًا شَامَ مِنْهُ سَنَا
حَتَّى تُحَصِّلَهُ عَنْ جَفْنِكَ الْوَسْنَا
فَخُذْهُ أَشَدُّ بِهِ كَفَّ الضَّيْنِ وَذُدْ

* * *

٣٠ - مَقَالِيدُ السَّمَاءِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ

فَضَائِلِ الدُّعَاءِ، وَأَدَابِهِ، وَأَوْقَاتِهِ، أَدْعِيَةِ عَامَّةٍ، الْأَذْكَارِ اليَوْمِيَّةِ، الدُّعَاءِ
لِلْوَالِدَيْنِ، الدُّعَاءِ لِلْأَوْلَادِ، أَدْعِيَةِ الصَّلَاةِ، الصِّيَامِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، السَّفَرِ.

مَعَ التِّزَامِ الصَّحَّةِ، وَالِاخْتِيَارِ الْفَائِقِ، وَالتَّرْتِيبِ الرَّائِقِ الَّذِي يَسْحَرُ الْأَلْبَابَ رِقَّةً
وَلَطَافَةً، وَيَدَهِّشُ الْأَفْهَامَ عُدُوبَةً وَسَلَاسَةً.

جَاءَتْكَ مِثْلَ بَدَائِعِ الْوَشْيِ الَّذِي
أَوْ كَالرَّبِيعِ يُرِيكَ أَخْضَرَ نَاضِرًا
مَا زَالَ فِي صَنْعَاءِ يُتَعَبُ صَانِعًا
وَمُورِدًا شَرْقًا وَأَصْفَرَ فَاقِعًا

* * *

٣١ - سَلَامَةُ الصَّدْرِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى فِضَائِلِ سَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَذَكَرَ أَسْبَابَ سَلَامَةِ الصَّدْرِ
وَمَوَانِعَهَا كَأَنَّهَا اخْتَلَسَتْ مِنْ وَشْيِ الْخَمَائِلِ، وَجَاءَتْ الْخَاتِمَةُ بِذِكْرِ صُورٍ مِنْ
سَلَامَةِ الصَّدْرِ مَعَ فَوَائِدَ عَزِيزَةٍ تَزْرِي بِالرَّبِيعِ.

دَعْ مَا يُزْخِرْفُهُ الرَّبِيعُ وَإِنْ زَهَتْ
أَزْهَارُهُ بَيْنَ الرَّبَى وَوَهَادَهَا
وَتَصَفَّحَ الرَّوْضَ الْخَمِيلَ فَرَعْبَهُ
لِشْرَاهُ نَفْسِي الْعَيْنَ طِيبَ رُقَادَهَا

* * *

٣٢- تَرْبِيَةُ الْأَوْلَادِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ خَمْسِينَ حَدِيثًا فِي تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ مَعَ الشَّرْحِ، كَرُوضَةٍ غَنَّا نَشَرْتُمْ شَذَاهَا طَيْبَ النَّشْرِ، تَبْتَهَجُ النَّفُوسُ بِهَا، وَتَسْتَرِيحُ الْقُلُوبُ إِلَيْهَا.

مَا رُوضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحُسْنِ مُعْشِبَةٌ
خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطْلٌ
يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْهَا نَشْرٌ رَائِحَةٌ
وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأَصْلُ

* * *

٣٣ - حليّة التّاجر

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى أَهَمِّ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْمُسْلِمِ مَعَ ذِكْرِ صُورٍ مِنْ فِقْهِ
التَّاجِرِ، وَذِكْرِ بَعْضِ الْمُخَالَفَاتِ وَعِلَاجِهَا، وَلَمْ أَغْفَلِ الْفَصَاحَةَ الَّتِي لَوْلَاهَا لَمْ تَر
بِدَائِعِ الزَّهْرِ، وَالْحُلُوهَ الْيَانِعَ مِنَ الثَّمْرِ.

يَا حُسْنَهَا نُسَخَةٌ يَلْهُو مُطَالِعُهَا
صَحَّتْ وَقَدْ لَطَفَتْ فِي شَكْلِهَا
بِهَا؛ لِمَا قَدْ حَوَتْ مِنْ رَائِقِ الْكَلِمِ!
لُطْفَ النَّسِيمِ، وَحَاشَاهَا مِنَ السَّقَمِ

* * *

٣٤ - أَرْبَعُونَ حَدِيثًا فِي عَظَمَةِ اللَّهِ

اشْتَمَلَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى أَرْبَعِينَ حَدِيثًا فِي عَظَمَةِ اللَّهِ، وَكُلُّ حَدِيثٍ يَبْعَثُ عَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَخَوْفِهِ وَخَشْيَتِهِ، وَالْقِيَامِ بِأَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ.

غُصْنٌ نَمَا فِي رِيَاضِ الْعِلْمِ حَيْثُ سَمَا بِالْفَضْلِ مَا بَيْنَ أَتْرَابٍ وَأَضْرَابٍ
لَا زَالَ يُهْدِي إِلَيْنَا بِالْجَمِيلِ وَلَا زَلْنَا نُقَرِّظُهُ فِي كُلِّ مُحَرَّابٍ

* * *

٣٥ - شَرْحُ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا فِي عَظَمَةِ اللَّهِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى شَرْحِ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا فِي عَظَمَةِ اللَّهِ ﷻ شَرْحًا مُخْتَصَرًا وَافِيًا حَسَنَ الدِّيَابَجَةِ رَائِقَ الْأَلْفَاظِ، عَاطِرَ النَّشْرِ.

يَبْعَثُ عَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ ﷻ، وَتَعْظِيمِ أَمْرِهِ، وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِعَظَمَتِهِ.

وَكَيْفَ لَا تُبْهِجُ الْأَبْصَارُ رُؤْيَيْهَا وَكُلُّ رَوْضٍ بِهَا فِي الْوَشْيِ صَنْعَاءُ
أَنْهَارُهَا فَضَّةٌ وَالْمِسْكُ تُرْبَتُهَا وَالْخَزْرُ رَوْضَتُهَا وَالْدُّرُّ حَصْبَاءُ

* * *

٣٦ - المَواعِظُ الذَّهَبِيَّة

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى مَواعِظَ فِي العَقِيدَةِ، وَالزُّهْدِ وَالرِّقَائِقِ، وَالْأَخْلَاقِ
وَالْأَدَبِ، وَتَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ.

وَكُلُّهَا مَواعِظٌ بِالغَةِ لِإيقاظِ القُلُوبِ العَافِلَةِ، فَظَفَرَ بِهَا تَرَبَّتْ يَدَاكَ.

كَأَنَّ عَلَى الْفَاطِمَةِ، وَنِظَامِهِ
تَنَفَّسَ فِيهِ الرُّوضُ فَاخْضَلَّ بِالنَّدَى
بَدَائِعَ مَا حَاكَ الرَّيِّعُ مِنَ الزَّهْرِ
وَهَبَّ نَسِيمُ الرُّوضِ يُخْبِرُ بِالْفَجْرِ

* * *

٣٧- تُخْفَةُ الْخَطِيبِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى أَصُولِ الْخِطَابَةِ، طُرُقِ تَحْصِيلِهَا، آدَابِهَا، صِفَاتِ
الْخَطِيبِ النَّاجِحِ، وَعَلَى كُلِّ صَفْحَةٍ مِنْهَا حُسْنٌ وَرَوْنٌ، وَدِيَابِجَةٌ صَافِيَةٌ، وَحَلَاوَةٌ
وَعُدُوبَةٌ أَلْفَاظٍ.

خُذَهَا مِنْ الْقَلْبِ لَوْ أَنَّ الدُّجَى صَبِغَتْ ثِيَابُهُ بِسَنَاهَا الْمُشْرِقِ الْعَالِي
لَصَارَ نُورًا كَأَنَّ الشَّمْسَ طَلَعَتْهَا وَالْبَدْرَ وَمُضَتْهَا فِي حُسْنِ إِجْلَالِ

* * *

٣٨ - الْفَرِيدُ فِي خُطْبِ التَّوْحِيدِ

اَشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ بِأَسْلُوبٍ خِطَابِيٍّ عَلَى شَكْلِ خُطْبٍ تُلْقَى، فَخُطْبَةٌ فِي التَّوْحِيدِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ خُطْبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَأَنَّ مَنْ جَاءَ بِأَصْلِ التَّوْحِيدِ فَهُوَ نَاجٍ عِنْدَ اللهِ وَلَوْ عَذَّبَ فِي النَّارِ.

تَدُلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ فِيهِ قَوَاطِعُ بِهَا قُطِّعَتْ لِلْمُلْحِدِينَ رِقَابُ

* * *

٣٩ - البصيرة في خطب السيرة

اَشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَوْلِدِهِ حَتَّى التَّحَاقِهِ بِالرَّفِيقِ
الْأَعْلَى عَلَى شَكْلِ خُطْبٍ تُلْقَى.

وَأُخْبِرُكَ أَنِّي اقْتَصَرْتُ فِيهَا عَلَى الصَّحِيحِ وَتَرَكْتُ مَا نَدَّ وَشَرَدَ.

فِي سِيرَةٍ لَمْ يَرَ التَّأْرِيخُ تَوَاقُفَهَا بَرُّغْمٍ مَا أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ مِنْ سِيرِ
فِي يَوْمِ مَوْلِدِهِ أَوْ يَوْمِ بَعْثِهِ أَوْ يَوْمِ هِجْرَتِهِ مَا شِئْتُ مِنْ عِبَرِ

* * *

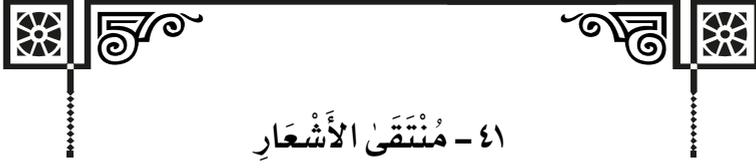
٤٠ - فِتْنَةُ النَّظْرِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ:

التَّحْذِيرِ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ، وَالْأَمْرِ بِعِصِّ الْبَصْرِ، وَأَنْوَاعِهِ، وَأَسْبَابِ إِطْلَاقِهِ،
وَأَسْبَابِ غَضِّهِ، وَمَا يُرَخِّصُ مِنْهُ، وَتَحْرِيمِ النَّظْرِ إِلَى الْمَرْوَانِ، مَعَ ذِكْرِ فُضُولِ النَّظْرِ،
كَالرَّوْضِ مَنْظَرًا، وَلَمَسًا، وَشَدًّا.

لَا شَيْءَ أَحْسَنُ مَنْظَرًا إِنْ قَسَيْتَهُ
إِنْ جِئْتَهُ أَعْطَاكَ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ
أَوْ مُخْبِرًا مِنْ حُسْنِ كَرَوْضِ نَاضِرٍ
أَوْ غَيْبَتَ زَادَكَ فِي النَّسِيمِ الْحَاضِرِ

* * *



اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اخْتِيَارِي مِنَ الْأَشْعَارِ سِيَّمَا الَّتِي
تَحْطَى بِالْفَوَائِدِ وَالْفَرَائِدِ، وَالْعُقُودِ وَالْقَلَائِدِ، وَتَتَمَيَّزُ بِقُوَّةِ مَعَانِيهَا، وَسَلَامَةِ مَبَانِيهَا،
وَرُوعَةِ قَوَافِيهَا، وَعُدُوبَةِ أَلْفَاطِهَا.

إِنَّ الْقَوَافِي وَالْمَسَاعِي لَمْ تَزَلْ
مِثْلَ النَّظَامِ إِذَا يَكُونُ مَزِيدًا
هِيَ جَوْهَرٌ نَثْرٌ فَإِنْ أَلْفَتْهُ
بِالشُّعْرِ صَارَ قَلَائِدًا وَعُقُودًا

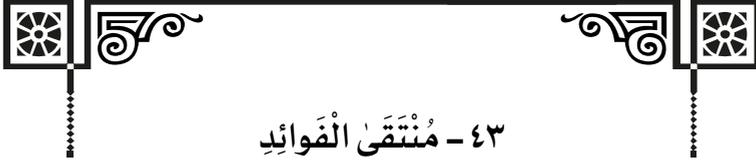
* * *

٤٢ - الْمُنتَقَى مِنْ أَمْثَالِ النَّبَلَاءِ

اشْتَمَلَ عَلَى أَمْثَالِ النَّبَلَاءِ؛ لِيَأْخُذَ بِهِ كُلِّ صَاحِبِ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ تَلْتَقِطُ أَطْيَبَ
الْكَلَامِ كَمَا تَلْتَقِطُ أَطْيَبَ الثَّمَرِ؛ لِأَنَّ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ أَمْثَالًا، فَلَا تَجِدُ لِسَاقِطٍ
إِلَّا مَثَلًا سَاقِطًا.

وَلَمْ أَحْفَلْ إِلَّا بِكُلِّ مَثَلٍ كَرِيمٍ عَلَيْهِ وَشَيْءٍ مُهْلَهْلٍ، كَعُرُوسٍ بِكْرِ مُنْعَمَةٍ.
عُرُوسٌ جَلَاهَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ فَانْتَتَتْ إِلَيْهَا النُّجُومُ الزَّهْرَاتُ تَطَلَّعُ
أَفْضَتْ بِهَا بِكْرًا تَضَوَّعَ طَيْبُهَا وَمَا طَيْبُهَا إِلَّا الثَّنَاءُ الْمُضَوَّعُ

* * *



اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اخْتِيَارِي مِنْ الْفَوَائِدِ الْمُنْفِيْدَةِ فِي
 الْعِلْمِ، وَالْعَقِيْدَةِ، وَالرَّفَاقِقِ، وَالْأَخْلَاقِ، وَالْأَدَبِ، وَالتَّرْبِيَةِ، كَالرُّوْضِ حَوَى أَنْوَاعَ
 الزَّهْرِ، وَالْبَحْرِ تَضَمَّنَ نَوَاضِعَ الدُّرْرِ.

وَرَصَّعْتُ فِيهِ الدَّرَّ حَتَّى تَرَكْتُهُ
 يَصِيءُ بِلا شَمْسٍ وَيَسْرِي بِلا قَمَرٍ
 فَعَيْنَاهُ سِحْرٌ وَالْجَبِينُ مُهَنَّدٌ
 وَلِلَّهِ دُرُّ الرَّمْشِ وَالْجَيْدِ وَالْحَوَرِ

* * *

٤٤ - الْجَامِعُ فِي خُطَبِ الْكِبَائِرِ

اَشْتَمَلَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى ذِكْرِ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ عَلَى صُورِ خُطَبٍ تُلقَى؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ الْكِبَائِرِ بَلْ عَامَّتِهَا إِلَّا الْأَقَلَّ كَمَا يَقُولُ الذَّهَبِيُّ: (يَجْهَلُ كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ تَحْرِيمَهَا، وَمَا بَلَغَهُمُ الرَّجْرُ فِيهَا، وَلَا الْوَعِيدُ عَلَيْهَا) وَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ يَأْتُونَ الْجُمُعَةَ بِسَكِينَةٍ عَلِمْتُ أَنَّ لَا مَقَامَ لِتَعْلِيمِ الْكِبَائِرِ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ، نَثَرْتُ الْخُطَبَ كَقَلَائِدِ الْعَقِيَانِ وَفَرَائِدِ بِيَانٍ، تَهْتَرُ لَهَا الْأَعْطَافُ طَرَبًا، وَتَرَشَّفُهَا الْأَذْوَاقُ ضَرْبًا.

فَرَائِدُ لَا تَرْضَى ابْنَ عَبَّادٍ عَبْدَهَا وَيَعْلُو عَلَى وَصْفِ الْبَدِيعِ بَدِيعُهَا

* * *

٤٥- صَيْدُ الْخَوَاطِرِ

اشْتَمَلَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى أَزْهَارٍ مُتَنَائِرَةٍ فِي حَدَائِقِ ذَاتِ بَهْجَةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ
 زَوْجٍ بِهِيجٍ، افْتُطِفَهَا الْعُلَمَاءُ مِنْ كُتُبِ ابْنِ عَقِيلٍ سَيِّمًا (الْفُنُونُ) إِبَّانَ ازْدِهَارِهِ، وَقَبْلَ
 أَنْ تَغْرُبَ شَمْسُهُ^(١) وَقَدْ بَقِيَتْ مِنْ تِلْكَ الْأَزْهَارِ بَقِيَّةٌ فِي كُتُبٍ مُتَفَرِّقَةٍ آثَرَتْ جَمْعَهَا.
 كَأَنَّمَا لَفْظُهُ الْحَانَ سَاجِعَةٌ بَدَائِعُ الْكُونِ فِيهَا صُوِّرَتْ نَعْمًا
 أَوْ رَوْضٌ حَزْنٍ أَعَارَ الْمِسْكَ نَفْحَتَهُ إِذَا بَكَى الْغَيْثُ فِي أَنْحَائِهِ ابْتَسَمَا

* * *

(١) الْكِتَابُ يُعَدُّ مِنَ الْمَفْقُودَاتِ إِلَّا مُجَلَّدَيْنِ مِنْهُمَا اسْتَفَدْتُ وَنَقَلْتُ وَلَعَلَّهُ بِسَبَبِ كِبَرِ حَجْمِهِ - وَاللَّهُ
 أَعْلَمُ - قَالَ الدَّهْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الدَّيْلِ (١ / ٣٤٤) عَنِ الْفُنُونِ: (لَمْ يُصَنَّفْ فِي الدُّنْيَا أَكْبَرَ مِنْهُ).
 وَقَالَ الْقَزْوِينِيُّ كَمَا فِي الدَّيْلِ (١ / ٣٤٥) عَنْ بَعْضِ مَشَائِخِهِ أَنَّهُ قَالَ: (هُوَ ثَمَانِيَةٌ مُجَلَّدَةٌ).

٤٦ - السَّكِينَةُ الْخُلُقُ الْمَفْقُودُ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ مَنْزِلَةِ السَّكِينَةِ أَسْبَابِهَا، وَمَوَانِعِهَا، ثَمَرَاتِهَا،
صُورٍ مِنْهَا..

وَأَخْبِرُكَ أَنِّي فَرَشْتُ فَوْقَهَا غُرًّا يُضِيءُ بِهَا حُنْدُسُ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ، وَدُرًّا تَكَلَّفُ
بِهَا لَبَّاتُ الْغَوَانِي وَتَهِيمٌ.

فُرَشْتُ فَوْقَهَا فَرَائِدُ طَلٌّ
وَتَدَلَّتْ عَلَى الْغُصُونِ فَجَاءَتْ
عَلَقَتْ بِالنَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ
كُشْنُوفِ الْكَوَاعِبِ الْأَبْكَارِ

* * *

٤٧ - مَوَاعِظُ لِلنِّسَاءِ

اَشْتَمَلَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى اَرْكَانِ الْاِسْلَامِ، وَارْكَانِ الْاِيْمَانِ حَتَّى دُخُولِ النَّاسِ
الْجَنَّةِ اَوْ النَّارِ.

وَرَجَوْتُ اَنْ يَقْرَأَ مِنْهُ الرَّجُلُ عَلَى اَهْلِهِ، وَتَقْرَأَ مِنْهُ الْمَرْأَةُ عَلَى النِّسَاءِ فِي
مَسَاجِدِهِنَّ، اَوْ مَجَالِسِهِنَّ، اَوْ اجْتِمَاعَاتِهِنَّ، اَوْ عِنْدَ اللَّقَاءَاتِ الْعَائِلِيَّةِ؛ لِاَنَّ الْمَوَاعِظَ
حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَنَمَاءُ الْاِيْمَانِ، وَزَكَاءُ النَّفْسِ، تَهْتَزُّ لَهَا الْقُلُوبُ الْعَامِرَةُ بِالْاِيْمَانِ
اهْتِزَازَ الْاَرْضِ الْمُجْدِبَةِ لِلسَّمَاءِ الْمَاطِرَةِ.

تَهْتَزُّ مِثْلَ اهْتِزَازِ الْغُصْنِ حَرَكَهٗ مُرُورِ غَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ سَحَّاحِ



٤٨ - ثَلَاثُونَ دَرَسًا لِلصَّائِمِينَ

اَشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى ثَلَاثِينَ دَرَسًا لِلصَّائِمِينَ، وَكُلُّهَا حَوْلَ الصِّيَامِ
وَالْقِيَامِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَأُخْبِرُكَ أَنِّي قُلِّدْتُهَا
مِنْ النَّثْرِ الرَّائِقِ، وَالنَّظْمِ الْفَائِقِ مَا يَزِرِي بِيُوشِي صَنْعَاءَ، وَتَحْسَدُهَا قَلَائِدُ الْحَسَنَاءِ.

فَوَائِدُ تُتَلَى بَلْ فَرَائِدُ تُجْتَلَى	تُشَنَّفُ أَسْمَاعُ الْمُرِيدِ تَكْرُمًا
بَلْفُظٍ إِذَا رَامَ النَّسِيمَ لِحَاقَةَ	تَعَثُرُ فِي الْأَذْيَالِ مِنْهُ وَأَحْجَمًا
فَيْسَكَّرُ بِالسَّحْرِ الْحَلَالَِ وَإِنَّهُ	حَدِيثٌ وَلَمْ يَدْرِ الْعَتِيقَ الْمُحَرَّمًا

* * *

٤٩ - رِسَالَةُ أَخَوِيَّةٍ

لِمَاذَا تَرَكْتُ دَعْوَةَ الْإِخْوَانِ وَاتَّبَعْتُ الْمَنَهَجَ السَّلْفِيَّ؟

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ جَمَاعَةِ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَبُعْدَهَا عَنِ الْمَنَهَجِ السَّلْفِيِّ عَقِيدَةً، وَمَنَهَجًا، وَسُلُوكًا.

وَلَمْ أَظْلِمْهَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، بَلِ اسْتَدْلَلْتُ لِكُلِّ قَوْلٍ بِأَفْوَالٍ مُؤَسَّسِي الْجَمَاعَةِ وَقَادِنِيهَا وَمُنْظَرِيهَا، وَهَلْ تَعْرِفُ أَيَّ جَمَاعَةٍ إِلَّا بِذَلِكَ!

زِدْ عَلَى ذَلِكَ أَنِّي لَبِثْتُ فِي صَفِّ الْجَمَاعَةِ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ حِجَّةً؛ غَاصَّهَا فِي الدَّقَائِقِ، مُطَّلِعًا عَلَى الْحَقَائِقِ ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

فَدُونِكَ مِنِّي فَاسْتَمِعْهَا نَصِيحَةً تُضَارِعُ لَوْنَ التَّبْرِ حَالَ صَفَائِهِ
مُبَرَّاةً مِنْ كُلِّ غَشٍّ؛ لِأَنَّهَا بَدَتْ مِنْ وَدِيدِ صَادِقٍ فِي إِخَائِهِ

* * *

٥٠- الْخِطَابُ الْبَلِيغُ

فِي جَمَاعَةِ التَّبْلِيغِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ (جَمَاعَةِ التَّبْلِيغِ)، وَمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْبُعْدِ عَنِ الْمَنْهَجِ السَّلَفِيِّ؛ عَقِيدَةً، وَمَنْهَجًا، وَسُلُوكًا، مُسْتَدِلًّا بِأَقْوَالِ: مُؤَسَّسِيهَا، وَمُنْظَرِيهَا مِنْ كُتُبِهِمْ وَرَسَائِلِهِمْ، وَهَلْ تُعْرَفُ أَيُّ جَمَاعَةٍ إِلَّا بِذَلِكَ!

فَدُونِكَ مِنِّي إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَةً وَمَا كُلُّ مَنْصُوحٍ يُوفَّقُ لِلرُّشْدِ
فَخُذْ يَمَنَةً وَأَسْلُكَ سَبِيلَ الْأَوْلَى مَضُوعًا مِنْ الرُّسُلِ وَالْأَلِ أَوْلَى الْفَضْلِ

* * *

٥١- حِرْزُ الْمُسْلِمِ

اَشْتَمَلَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى ذِكْرِ جُمْلَةٍ صَالِحَةٍ مِنْ أذْكَارِ الْمُسْلِمِ الْيَوْمِيِّ مَعَ
 أذْكَارِ الْعِبَادَاتِ كَالصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ، وَلَمْ أَغْفَلِ الرُّفِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ.
 وَأُخْبِرُكَ أَنِّي اقْتَصَرْتُ عَلَى مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَصَحِيحِ السُّنَنِ، وَتَرَكْتُ مَا نَدَّ
 وَشَرَدَ، فَجَاءَ سَهْلَ الْمَأْخَذِ، رَائِقَ اللَّفْظِ، سَائِغَ الْمَعْنَى، حَسَنَ التَّرْتِيبِ، مُفَسَّرَ
 الْغَرِيبِ.

فَدُونِكَ ذَا (الْحِرْزِ) الَّذِي جَلَّ لَفْظُهُ وَدَقَّ عَلَى الْأَفْهَامِ فِي الْفَضْلِ مَعْنَاهُ
 فَلَا طُلَّ إِلَّا مِنْ حَبَائِكَ رَوْضُهُ وَلَا بَاتَ إِلَّا فِي فِنَائِكَ مَأْوَاهُ

* * *

٥٢- صَلَاةُ الْمُسْلِمِ

اَشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى صِفَةِ وُضُوءِ النَّبِيِّ ﷺ وَصِفَةِ صَلَاتِهِ، وَوُجُوبِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ.

وَأُخْبِرُكَ أَنِّي أَتَيْتُ بِكُلِّ لَفْظٍ مُونِقٍ لَمْ يَسْمَهُ التَّكْلُفُ بِمِيسَمِهِ، وَمَعَانٍ كَأَنْفَاسِ الرِّيَّاحِ بِسَحْرَةٍ.

عَرَسْتُ بِهَا عَرَسًا يُحْيِيكَ زَهْرُهُ وَيُذْنِيكَ مِنْ ثَمَارِهِ وَهُوَ مُونِقٌ

* * *

٥٣- فَوَائِدُ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ

اَشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى فَوَائِدَ جَنَيْتُهَا مِنْ كِتَابِ «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» لِابْنِ
الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللهُ أَرْقَ مِنْ النَّسِيمِ، وَأَحْلَى مِنَ التَّنْسِيمِ، وَأَشْهَى مِنَ الْعَافِيَةِ عَلَى بَدَنِ
السَّقِيمِ، وَأَصْفَى مِنَ الْمَاءِ الزُّلَالِ، وَأَعْلَقَ بِالْقَلْبِ مِنْ أَمَلِ الْوِصَالِ، وَأَشْغَلَ لِلْبَالِ
مِنْ هَوَى ذِي دَلَالٍ.

أَمَاتَرَى الرُّوضَةَ قَدْ نَوَّرَتْ وَظَاهَرَ الرُّوضَةَ قَدْ أَعْشَبَا
كَأَنَّما الرُّوضُ سَمَاءٌ لَنَا نَقَطُفُ مِنْهَا كَوْكَبًا كَوْكَبًا

* * *

٥٤- طَرِيقُنَا لِلْقُلُوبِ

اَشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى خَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ وَسَبِيلَةً مُفِيدَةً، وَصِفَاتٍ حَمِيدَةً،
 وَخِلَالًا مَجِيدَةً، لِكَسْبِ قُلُوبِ النَّاسِ، وَاسْتِجْلَابِ مَوَدَّتِهِمْ.
 وَأُخْبِرُكَ أَنِّي كَسَيْتُهَا حُلَلَ الْوَشْيِ وَالخَزِّ، فَإِذَا تَأَمَّلَهَا النَّاطِرُ، وَأَصْغَى إِلَيْهَا
 السَّمْعُ، وَجَدَهَا مَلْهَى لِلسَّمْعِ، وَمَرْتَعًا لِلنَّظْرِ، وَسَكَنًا لِلرُّوحِ، وَلِقَاحًا لِلْعَقْلِ.
 إِذَا مَا مَشَتْ خَافَتْ نَمِيمَةً حَلِيهَا تُدَارِي عَلَى الْمَشِيِّ الْخَلَاحِلَ وَالْعِطْرَا

* * *

٥٥- تَسْهِيلُ الْبَلَاغَةِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى زُبْدَةِ الْبَلَاغَةِ، أَلْبَسْتُهَا ثَوْبًا قَشِيًّا مِنَ السُّهُولَةِ
وَالْيُسْرِ، وَالْوُضُوحِ فِي لَفْظِهَا؛ حَتَّى تَأْخُذَ طَرِيقَهَا إِلَى الْقُلُوبِ وَالْأَحَاسِيسِ دُخُولَ
الْمَأْنُوسِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ.

تَسَانَدَتْ فِي صَقْلِهَا أَسْهَلَ الْأَمْثَلَةِ.

وَرُبَّمَا كَتَبْتُ الْوَرَقَةَ وَعَرَفْتُهَا عَلَى مَنْ حَوْلِي، فَإِنْ طَابَقَتْ أَحْوَالَ النَّاسِ
أَمْضِيئُهَا وَإِلَّا أَعَدْتُ كِتَابَتَهَا مِنْ جَدِيدٍ.
رَقَّتْ فَرَاقَتْ مِنْ لِينِ مَلَمَسِهَا وَلَمْ يَفْتَحْهَا النَّوْمِ وَالنَّظَرُ
فَهِيَ لِمَنْ شَمَّ رِيحَهَا أَثْرُ وَهِيَ لِمَنْ رَامَ لَمَسَهَا خَبْرُ

* * *

٥٦- آدابُ الضِّيَافَةِ

ويُليهِ آدابُ الطَّعَامِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى رِسَالَتَيْنِ:

الرَّسَالَةُ الْأُولَى:

(آدابُ الضِّيَافَةِ)، ذَكَرْتُ مِنْهَا: آدَابَ الضَّيْفِ، وَآدَابَ الْمَضِيفِ، وَجَاءَتْ
الْخَاتِمَةُ بِذِكْرِ قِصَّةِ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

الرَّسَالَةُ الثَّانِيَّةُ:

(آدابُ الطَّعَامِ)، ذَكَرْتُ مِنْهَا آدَابَ مَا قَبْلَ الطَّعَامِ، وَآدَابًا عِنْدَ الطَّعَامِ، وَآدَابًا
بَعْدَهُ.

وَذَكَرْتُ فِي الرَّسَالَتَيْنِ مَسَائِلَ لَطِيفَةً كَأَبْكَارِ الْجَوَارِي قَدْ تُخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ
النَّاسِ.

جَوَاهِرُ مِنْ أَبْكَارِ لَفْظٍ وَعَوْنُهُ يُقَصِّرُ عَنْهَا رَاجِزٌ وَمُقَصِّدٌ
فَزَوْجُهُمَا مَا مِثْلُهُ فِي اتِّفَاقِهِ وَفَرْدُهُمَا بَيْنَ الْكَوَاكِبِ أَوْحَدٌ

* * *

٥٧- بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ فَضَائِلِ الْيَمَنِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَضَائِلِ
بَعْضِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ، وَذِكْرِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، كَعَرَّائِسَ يَسْرُ النَّاطِرِينَ
اجْتِلَاؤُهَا، وَحَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ لَطَّلَا بِهَا.

فَمَا خَلَّتْهَا إِلَّا حَدَائِقُ بَهْجَةٍ مُكَلَّلَةَ الْأَرْجَاءِ بِالذُّرِّ وَالتَّبْرِ
طَرِبْتُ بِهَا لَمَّا فَهَمْتُ نُقُوشَهَا كَمَا يَطْرُبُ النَّشْوَانُ مِنْ لَذَّةِ الْخَمْرِ

* * *

٥٨ - عَقِيدَةُ الْمُسْلِمِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى أَرْبَعِينَ حَدِيثًا فِي الْعَقِيدَةِ مَعَ الشَّرْحِ، وَهِيَ عَلَى
 إِيجَازِهَا، وَصِغَرِ حَاجِمِهَا، تَضَمَّنَتْ عَقِيدَةَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، كَمَا تَضَمَّنَتْ جُمْلًا
 عَظِيمَةً فِي الْإِعْتِقَادِ؛ تُعَدُّ مِنْ أَبْرَزِ الْقَضَايَا الَّتِي اخْتَلَفَ مِنْهَا أَهْلُ الْقِبْلَةِ.

عَقِيدَةُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسَّلَفِ الْأُولَى عَلَيْهِمْ لِمَنْ رَامَ النَّجَاةَ الْمُعَوَّلُ
 فَدُونُكَهَا تَحْوِي فَوَائِدَ جَمَّةً مِنْ الْعِلْمِ قَدْ لَا يَحْتَوِيهَا الْمُطَوَّلُ

* * *

٥٩- تَهْدِيْبُ الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ

ص ٩٧ بترقيم الكتاب تحتاج إلى إعادة نظر فيها، وما سأكتبه يحتاج إلى إعادة

نظر:

مَا لَا يَنْفُرُهُ دَلِيلٌ، كَمَا اسْتَبَعَدْتُ الْأَحَادِيثَ وَالْأَقْوَالَ الضَّعِيفَةَ فَعَبَقَتْ زَهْرَاتُهُ،
وَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ، وَلَمَعَتْ بِلَاغَتُهُ.

فَفِي كُلِّ بَابٍ مِنْهُ دُرٌّ مُؤَلَّفٌ كَنَظْمٍ عُقُودٍ زَيَّنَتْهَا الْجَوَاهِرُ

* * *

٦٠- تَقْرِيبُ التُّحْفَةِ السَّنِيَّةِ

كِتَابُ «التُّحْفَةُ السَّنِيَّةُ» لِ مُحَمَّدٍ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الحَمِيدِ رَحِمَهُ اللهُ هُوَ مِنْ أَحْسَنِ الشُّرُوحِ عَلَى الأَجْرُومِيَّةِ، وَهَذَا الكِتَابُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ هُوَ «تَقْرِيبٌ لِكِتَابِ التُّحْفَةِ السَّنِيَّةِ» قَصَدَ بِهِ المُؤَلِّفُونَ لَهُ تَقْرِيبَهُ لِطُلَّابِ المَعَاهِدِ العِلْمِيَّةِ المَرَحَلَةِ الأُولَى فِي اليَمَنِ، وَكُنْتُ مِمَّنْ دَرَسَ هَذَا الكِتَابَ وَاسْتَفَادَ مِنْهُ.

وَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ فَائِدَتَهُ وَسُهُولَةَ عِبَارَتِهِ سَمَتُ بِي هِمَّتِي لِخِدْمَتِهِ؛ لِيَسْتَفَعَ بِهِ مَنْ يُرِيدُ اللهُ بِهِ خَيْرًا، مِنْ طُلَّابِ العِلْمِ المُبْتَدِئِينَ لِسُهُولَةِ التَّقْرِيبِ، وَحَلَاوَةِ الطَّرْحِ، وَتَخَيْرِ اللَّفْظِ، وَاجْتِلَابِ المَنْفَعَةِ.

فَهَذَا بَدِيعٌ لَيْسَ فِي النَّاسِ مِثْلُهُ تَخَطَّفُ حَبَاتِ القُلُوبِ أَجَادِلُهُ

* * *

٦١- تَقْرِيبُ قَطْرِ النَّدَى

كِتَابُ «قَطْرِ النَّدَى» لِابْنِ هِشَامِ الْأَنْصَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ أَسْهَلِ كُتُبِ النَّحْوِ، وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ هُوَ: «تَقْرِيبُ قَطْرِ النَّدَى» فَصَدَّ بِهِ مُؤَلَّفُوهُ تَقْرِيبَهُ لِطُلَّابِ الْمَعَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ فِي الْيَمَنِ «الْمَرْحَلَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ»، وَكُنْتُ مِمَّنْ دَرَسَ الْكِتَابَ وَاسْتَفَادَ مِنْهُ، وَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ الثَّمَرَ مُضَاعَفَةً سَمَتُ بِي هِمَّتِي لِخِدْمَتِهِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ مَنْ يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا لِسُهُولَتِهِ، وَشِدَّةِ أَسْرِهِ، وَحَلَاوَةِ لَفْظِهِ، وَحَمَلِهِ مِنَ الْمَعْنَى وَالْبَسَاطَةِ قَدَرًا مَا كَانَ يَحْمِلُ مِنْ زِينَةٍ وَزُخْرُفِهِ فِي الْمَاضِي.

وَلَنْ أَتَحَدَّثَ عَنْهُ فَهُوَ أَوْلَى بِالْحَدِيثِ عَنِ نَفْسِهِ.

وَالْمِسْكَ مَا قَدْ شَفَّ عَنْهُ ذَاتُهُ لَا مَا غَدَا يَنْعُتُهُ بِأَيْعُهُ

* * *

٦٢- تَسْهِيلُ شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ

كِتَابُ شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ مِنْ أَسْهَلِ الشُّرُوحِ عَلَى أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ، وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ: «تَسْهِيلُ شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ»، فَصَدَّ بِهِ مُؤَلِّفُوهُ تَسْهِيلَهُ عَلَى طُلَّابِ الْمَعَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ فِي الْيَمَنِ «الْمَرْحَلَةِ الثَّانَوِيَّةِ» وَكُنْتُ مِمَّنْ دَرَسَ الْكِتَابَ وَاسْتَفَادَ مِنْهُ.

وَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ الثَّمَرَ يَانِعَةً سَمَّتْ بِي هِمَّتِي إِلَى خِدْمَتِهِ لِيَتَّبِعَ بِهِ مَنْ يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ لِسُهُولَةِ لَفْظِهِ، وَقُرْبِ مَعْنَاهُ، وَحُسْنِ عَرْضِهِ، بِحَيْثُ يَرْتَسِمُ فِي النَّفْسِ، وَيَتَلَقَّاهُ السَّمْعُ وَيَسْتَلِدُّهُ.

إِنْ لَاحَ فَهَوَ الْقُبْحُ فِي أَنْوَارِهِ
أَوْ فَاحَ فَهَوَ الرَّوْضُ فِي نَوَارِهِ

* * *

٦٣ - ذُوقِيَّاتٌ مَعًا لِنَرْتَقِ بِأَخْلَاقِنَا

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ الذُّوقِ، وَالذُّوقُ هُوَ الْأَدَبُ، بَلْ هُوَ شَذَاهُ
وَنَفْحَةٌ مِنْ نَفْحَاتِهِ.

وَمِمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ: الْأَدَبُ مَعَ اللَّهِ، الْأَدَبُ مَعَ كِتَابِهِ، الْأَدَبُ مَعَ رَسُولِهِ ﷺ،
الْأَدَبُ مَعَ الْوَالِدَيْنِ، الْأَدَبُ مَعَ الْأَرْحَامِ الْأَدَبُ مَعَ الْجِيرَانِ، الْأَدَبُ مَعَ النَّاسِ
كَافَّةً، وَالْأَدَبُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ دَوْحَةِ الْأَدَبِ وَرِيَاضِ الذُّوقِ.
خُذْهَا وَصَايَا بِالْفَاطِ مُطَوَّلَةٍ فِيهَا لِمَنْ يَتَّعَى التَّبَيَّنَ تَبَيَّنَا

* * *

٦٤- الاعْتِدَارُ فَنُّ وَذَوْقُ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى فَضْلِ الْإِعْتِدَارِ، صِفَاتِهِ، أَسْبَابِ نَجَاحِهِ، آدَابِهِ،
مَجَالَاتِهِ، ثِمَارِهِ.

كَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَى ذِكْرِ الْعِتَابِ وَآدَابِهِ، وَالْعَفْوِ فَضَائِلِهِ، وَآدَابِهِ، مَعَ رِقَّةِ الْفَاطِ،
وَحَلَاوَةِ مَعَانٍ، تَرْتَبُ بِمِهْنَةِ الْحَيَاكَةِ، نَمْنَمْتُ عَقْدَ وَشَيْهَا حُلًّا مُدْهَبَةً.

هَآكَ عَرُوسًا جَلِيَّتْ شَهِيَّةً ذَاتَ مَعَانٍ نُظِمَتْ نَظْمَ الْحَلِي
غَرَاءَ كَالْمَاءِ الزُّلَالِ رِقَّةً وَطَعْمُهَا طَعْمُ شِهَادٍ تُجْتَنِي

* * *



٦٥- أَعَذَّبُ الْكَلَامَ فِي صَلَاةِ الْأَرْحَامِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى أَرْبَعِينَ حَدِيثًا فِي «صَلَاةِ الْأَرْحَامِ» مَعَ الشَّرْحِ،
وَكُلُّهَا أَحَلَى مِنَ الشَّهْدِ وَالذُّمِّ مِنَ الْمُنَى.

حَدِيثٌ إِذَا لَمْ تَخْشَ عَيْنًا كَانَتْهُ إِذَا سَاقَطَتْهُ الشَّهْدُ بَلْ هُوَ أَطْيَبُ
وَأُخْبِرُكَ أَنِّي اسْتَهْلَلْتُ بِذِكْرِ حِكْمٍ وَأَحْكَامٍ، وَخَتَمْتُ بِذِكْرِ يَنَابِيعٍ مِنْ رِيَاضِ
الْأَدَبِ.

إِلَيْكَ بَعَثْتُ أَبْكَارَ الْمَعَانِي يَلِيهَا سَائِقُ عَجَلٍ وَحَادِي

* * *

٦٦- كَشَافُ الْكَبَائِرِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ كَبَائِرِ الدُّنُوبِ، وَدَلَّلَتْ عَلَى كُلِّ كَبِيرَةٍ مِنَ
 الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ مِنَ الْكِتَابِ أَوْ السُّنَّةِ، وَمَنْ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَالَ: إِنَّهَا كَبِيرَةٌ.
 وَأُخْبِرُكَ أَنِّي اسْتَهَلَلْتُ بِذِكْرِ تَعْرِيفِ الْكَبِيرَةِ، وَحُكْمِهَا، وَحُكْمِ مُرْتَكِبِهَا،
 وَالتَّوْبَةِ مِنْهَا.

وَاخْتَرْتُ لَهَا أَلْفَاظًا جَزَلَةً تَلَائِمُهَا؛ لِأَنَّ الْجَزَلَ يُسْتَعْمَلُ فِي مَقَامِ التَّرْهِيبِ،
 وَالرَّقِيقُ يُسْتَعْمَلُ فِي مَقَامِ التَّرْغِيبِ.

جَلَّأْتُ أَلْفَاظِي إِذَا مَا قَرَأْتُهَا
 بِجَيْشٍ بِهَا بَحْرٌ مِنَ الْعِلْمِ وَالنَّدَى
 فَالْتَمُّ مِنْ أَسْطَارِهَا كُلِّ فَاتِنٍ
 قَرَيْتَ مَعِينًا مِنْ مَعَانِ دَقَائِقِ
 حَبَا كُلِّ أُفْقٍ مِنْ حُلَاهُ بِفَائِقِ
 بِمَا يُجْتَلَى مِنْ رَقْمِهَا كُلِّ رَامِقِ

* * *

٦٧- قِيدُ الْخَوَاطِرِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى خَوَاطِرٍ تَنْقَدِحُ فِي الدَّهْنِ بَعْدَ اسْتِقْرَاءٍ وَتَأَمُّلٍ،
فَكُنْتُ أَقِيدُهَا قَبْلَ شُرُودِهَا حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي مَوَائِدُ مُتَنَوِّعَةٌ عِلْمِيَّةٌ، شَرْعِيَّةٌ،
مَنْهَجِيَّةٌ، دَعْوِيَّةٌ، تَرْبَوِيَّةٌ، انْتَخَبْتُ مِنْهَا مَا ضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الرَّسَالَةُ مِنْ نَفَائِسٍ مُنِيفَةٍ،
وَلَطَائِفٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَفَرَائِدَ جَلِيلَةٍ.

وَجَاءَتِ الْخَاتِمَةُ بِتَعْرِيفٍ بِكُلِّ كِتَابٍ كَتَبْتُهُ بِذِكْرِ مَوَارِدِهِ، وَأَوَابِدِهِ، وَحَلَائِبِ
دَرِّهِ،

بُدُورٌ بَدَتْ مِنْ أَفْقِ أَطْرَاقِهَا عَلَى رِيَاضٍ شَدَتْ فِي قُطْبِهَا ذَاتِ أَطْوَاقٍ
فَنَاطِرٌ مِنْهَا الْأَقْحُوَانُ تُغُورُهَا وَقَابِلٌ مِنْهَا نَرْجِسٌ سَحَرَ أَحْدَاقِ

* * *

٦٨- أَحْسَنُ الْأَقْوَالِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى فَوَائِدِ عِظَامٍ فِي أَبْوَابٍ، مِنْهَا: الْعِلْمُ، الْعَقِيدَةُ،
وَالِاتِّبَاعُ، وَالرَّفَاقَةُ، وَالذِّكْرُ وَالِدُّعَاءُ، وَجَمِيلُ الْأَدَبِ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى الْوَقْتِ.

وَكُلُّ فَائِدَةٍ فِي سَطْرٍ أَوْ سَطْرَيْنِ تَيْسِيرًا لِحِفْظِهَا، وَتَعْجِيلًا لِاسْتِحْضَارِهَا.

وَأُخْبِرُكَ أَنِّي انْتَخَبْتُهَا مِنْ مَرَاجِعِ شَتَّى؛ عَلَى أَسَاسِ إِجَاعَةِ اللَّفْظِ، وَإِشْبَاعِ
الْمَعْنَى، وَالْجَمَالِ اللَّفْظِيِّ، وَسِحْرِ الْأُسْلُوبِ.

رَشَفْتُ بِهَا مِثْلَ الثُّغُورِ عُدُوبَةً فَأَقْصَرْتُ عَنْ ذِكْرِ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ
أَطَالِعُ مِنْ قِرْطَاسِهَا كُلِّ غَارِبِ مَحَاسِنَ تَلْقَانِي بِطُلْعَةِ شَارِقِ

* * *

٦٩ - مَلِكُ الْقُلُوبِ

اشْتَمَلَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى ذِكْرِ الْإِخْلَاصِ الَّذِي هُوَ أَهْمُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ بَلْ
 مَلِكُهَا كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنْهُمْ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللهُ، أَوْدَعْتُهُ مَا
 يَتَعَلَّقُ بِالْإِخْلَاصِ مِنْ فَضَائِلٍ وَحِكَمٍ وَأَحْكَامٍ، وَأَدَبٍ، يُغْنِيكَ قُرْبُكَ مِنْهُ، وَيَشْفِيكَ
 النَّظْرُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

بَانَ عَنِ الْأَشْكَالِ فِي حُسْنِهِ فَلَمْ تَقَعْ عَيْنٌ عَلَى شِبْهِهِ
 يُغْنِيكَ عَنِ بَدْرِ الدُّجَى نوره وَالْبَدْرُ لَا يُغْنِيكَ عَنْ وَجْهِهِ

* * *

٧٠- تاجُ المُرُوَّةِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ الصِّدْقِ الَّذِي هُوَ أَهْمُ مَا يَتَحَلَّى بِهِ الْكَرِيمُ مِنَ
 المُرُوَّةِ فَهُوَ تَاجُهَا، وَكُلُّ خَصْلَةٍ مِنَ الْحُلَى وَالْحُلَلِ فِيهَا دُونَ الصِّدْقِ.
 فَتَضَمَّنَتْ فَضْلَ الصِّدْقِ وَحُكْمَهُ، وَأَحْكَامَهُ، وَآدَابَهُ، وَالْكَذِبَ وَسُوءَ عَاقِبَتِهِ فِي
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

كَمَا أَوْدَعْتُهَا فَرَائِدَ النَّثْرِ، وَقَلَائِدَ النَّظْمِ، وَفَوَائِدَ الْجِدِّ.
 فَمَاتَتْ مَحَاسِنُهَا مَجْهُودَ وَاصِفِهَا فَالْقَوْلُ كَالسَّكْتِ وَالْإِيْجَازُ كَالْخَطْلِ

* * *

٧١- التَّاجُ الْمَفْقُودُ

التَّاجُ الْمَفْقُودُ هُوَ: (حُسْنُ السَّمْتِ)، فَهُوَ تَاجُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، فَقَدَهُ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ، وَحُسْنُ السَّمْتِ كَمَا عَرَّفَهُ الْعُلَمَاءُ هُوَ: «حُسْنُ الْمَظْهَرِ الْخَارِجِيِّ لِلْإِنْسَانِ؛ مِنْ طَرِيقَةِ الْحَدِيثِ وَالصَّمْتِ وَالْحَرَكََةِ وَالسُّكُونِ، وَالذُّخُولِ وَالْخُرُوجِ، وَالسِّيَرَةِ الْعَمَلِيَّةِ فِي النَّاسِ، بِحَيْثُ يَسْتَطِيعُ مَنْ يَرَاهُ، أَوْ يَسْمَعُهُ أَنْ يَنْسِبَهُ لِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَالذِّيَانَةِ وَالْفَلَاحِ».

وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ تَشْرُحُ لَكَ تَعْرِيفَ الْعُلَمَاءِ لِحُسْنِ السَّمْتِ مَعَ ذِكْرِ آدَابِهِ وَصُورِ مِنْهُ.

مِنْ بَدَائِعِ الْأَلْوَانِ	وَأُخْبِرُكَ أَنِّي حَلَيْتُهَا بِحُلَلِ مَوْشَاةٍ
وَأِبَائِئِهَا وَحَيَائِئِهَا وَصَيَانِئِهَا	وَأَفْتِكَ تَرْفُلٍ فِي ثِيَابِ بَهَائِئِهَا
فِي دُرِّهَا الْمَنْظُومِ أَوْ مَرَجَانِئِهَا	كَالْكَاعِبِ الْعَذْرَاءِ حِينَ تَبَخَّرَتْ
فِي دَسْتِ مَجْلِسِهَا وَفِي إِيْوَانِئِهَا	فَبَقِيَتْ مُعْتَصِبًا بِتَاجِ بَهَائِئِهَا

* * *

٧٢- مِنْ أخطاءِ الصَّائِمِينَ

اشْتَمَلَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ خَطَأً مِنْ أخطاءِ الصَّائِمِينَ فِي
 الصَّيَامِ، وَالْقِيَامِ، وَالصَّدَقَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.
 مَعَ وَجَازَةِ أَلْفَاظٍ وَحُلُوِّ مَعَانٍ.
 بَدِيعٌ كَرُوضٍ خَالَفَتْهُ يَدُ الْحَيَا
 فَمَا أَقْلَعَتْ حَتَّى اسْتَنَارَتْ كَوَاكِبُهُ

* * *

٧٣ - الْكَنْزُ الْمَدْفُونُ فِي مُقَدِّمَةِ ابْنِ خَلْدُونَ

مُقَدِّمَةُ ابْنِ خَلْدُونَ عَظِيمَةُ الْفَوَائِدِ، كَانَتْهَا دُرٌّ مُنْضَدٌ، وَفِيهَا الْوَرِقُ (١)، وَفِيهَا الْعَسْجَدُ (٢).

وَأُخْبِرُكَ أَنَّ ابْنَ خَلْدُونَ رَضِيَ اللَّهُ إِذَا تَحَدَّثَ عَنْ وَرَقِهَا جَنَحَ إِلَى وُجُورَةِ الْأَلْفَاظِ، وَكَانَ الْمَعَانِي فِي الصَّدْفِ لَا تَبْرُزُ لَكَ إِلَّا أَنْ تَشُقَّهُ عَنْهَا وَهَذَا كَثِيرٌ.

وَإِذَا تَحَدَّثَ عَنْ عَسْجِدِهَا جَاءَ بِأَعْدَبِ الْأَلْفَاظِ، وَأَسْهَلَ الْمَعَانِي وَهَذَا قَلِيلٌ. فَطَرَحْتُ كَثِيرَهَا، وَأَخَذْتُ قَلِيلَهَا.

فَدُونَاكَ هَدِيَّةً ثَمِينَةً، وَمَحْمَلًا خَفِيفًا.

كَانَتْهَا حُقَّةٌ مِنْ عَسْجِدِ مِلَّتْ مِنَ الْيَوَاقِيْتِ نَثْرًا غَيْرَ مَنْظُومٍ

* * *

(١) الْوَرِقُ: الْفِضَّةُ.

(٢) الْعَسْجَدُ: الذَّهَبُ.

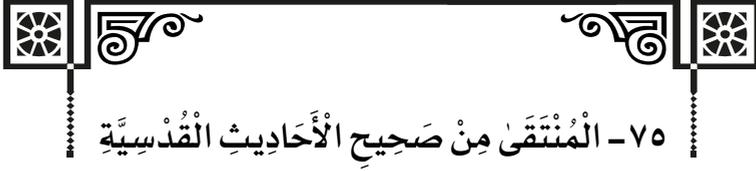
٧٤- نِعْمَةُ الْأُخُوَّةِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى نِعْمَةِ الْأُخُوَّةِ أَهْمِيَّتِهَا، فَضَائِلِهَا، آدَابِهَا، حُقُوقِهَا.

مَعَ جُودَةِ اللَّفْظِ، وَدِقَّةِ السَّبْكِ، وَحُسْنِ الْكَلَامِ.

حُرُوفٌ مَعَانٍ أَوْ عُقُودٌ جَوَاهِرٍ تُحَاكِي مَصَابِيحَ النُّجُومِ الزَّوَاهِرِ
عَرَائِسُ لَا يَنْكِحْنَ غَيْرَ مُهَدَّبٍ كَرِيمٍ وَلَا يَعْشَقْنَ مَنْ لَمْ يُخَاطِرِ

* * *



اشْتَمَلَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى ذِكْرِ جُمْلَةٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْقُدْسِيَّةِ الصَّحِيحَةِ فِي
التَّوْحِيدِ، وَالْأَدَبِ، وَالزُّهْدِ وَالرَّفَاقَةِ.

وَأُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَذْكَرْ إِلَّا مَا صَحَّ سَنَدُهُ، وَتَيَسَّرَ فَهْمُهُ، مَعَ تَبْوِيهِ حَسَنٍ،
وَتَرْتِيبِ رَائِقٍ، تَشْحِيدًا لِلْأَذْهَانِ، وَتَهْدِيًّا لِلْأَفْهَامِ.

وَمُعَطَّرِ الْأَنْفَاسِ يَسُومُ دَائِمًا عَنْ دُرِّ ثَغْرِ زَانَهُ تَرْتِيبُ
مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ مِنْهُ عِقْدَ جَوَاهِرٍ لَمْ يَدْرِ مَا التَّنْفِيحُ وَالتَّهْدِيبُ

* * *

٧٦- شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى

اَشْتَمَلَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى؛ بِذِكْرِ الْإِسْمِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَمَعْنَاهُ فِي اللَّغَةِ، ثُمَّ مَعْنَاهُ فِي حَقِّ اللَّهِ ﷻ، ثُمَّ الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَوْ مِنَ الْكِتَابِ أَوْ السُّنَّةِ، وَوَجْهَ الْاِقْتِرَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى - إِنْ وُجِدَ -، ثُمَّ آثَارِ الْإِيمَانِ بِهَذَا الْإِسْمِ الْكَرِيمِ.

مَعَ الْأَفَاطِ شَرِيفَةٍ، وَمَعَانٍ لَطِيفَةٍ، وَفَوَائِدَ مُنِيفَةٍ.

فَدُونَكَ مِنْهُ سَفْرًا لَا يُسَامَى يَجِلُّ عَنِ الْمَشَابِهِ وَالنَّظِيرِ
يَجْرُّ عَلَى الْبَدِيعِ ذُيُولَ فَجْرِ وَيَحْفَرُ عِنْدَهُ وَشَيَّ الْحَرِيرِ

* * *



٧٧- الطَّاهِرَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ سِيرَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .
 نَسَبُهَا، مَوْلِدُهَا وَنَشَأَتُهَا، قِصَّةُ الزَّوْجِ الْمُبَارَكِ، فَضَائِلُهَا، وَفَاتِحَاتُهَا .
 كَسَيْتُهَا بِدُرِّ الْفَوَائِدِ، وَغُرِّ الْقَلَائِدِ، فَغَدَّتْ أَزْهَى مِنْ أَوَانِسَ، وَأَبْهَى مِنْ
 عَرَائِسَ .

رَوْضٌ بَدَا بَيْنَ الْأَنْامِ زَاهِرًا لِسُحْبِ جُودِ بِنْدَى تُدَبِّجُهُ
 فَزَهْرَةٌ أَحْلَاقُهَا وَوَصْفُ طَيْبِ الْأَصْلِ فِيهَا أَرْجُهُ

* * *

٧٨- الصِّدِّيقَةُ

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى سِيرَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

نَسَبَهَا، مَوْلِدَهَا وَنَشَأَتَهَا، كُنْيَتَهَا، تَزْوِيجَ النَّبِيِّ ﷺ وَبِنَائِهِ بِهَا، فَضَائِلَهَا، وَفَاتَهَا.
مَعَ رَوَائِعِ الْأَفَاظِ مُنْتَقَاةٍ، وَمَعَانٍ فِي أَحْشَائِهَا مُجْتَنَاةٍ، لَوْ قَرَأْتَهَا ذَاتُ قَلْبٍ
لَقَرَعَتْ قَلْبَهَا، وَتَنَفَّسَتْ لَهَا نَفْسًا تَنْقُدُ مِنْهُ الْقَلَائِدُ.

لَا يُذَكَّرُ الطُّهْرُ إِلَّا قِيلَ عَائِشَةُ رَمَزُ لَهُ وَهُوَ نُورٌ فِي مُحْيَاهَا
صَدِّيقَةٌ وَأَبْنَةُ الصِّدِّيقِ لَيْسَ لَهَا مِنْ مُشَبِّهِ فِي الصَّبَايَا فِي مَزَايَاهَا

* * *

٧٩- آداب التَّعَامُلِ مَعَ الْفِتَنِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى تَعْرِيفِ الْفِتَنِ، وَتَحْذِيرِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ مِنْهَا، وَإِخْبَارِهِ بِمَا سَيُصِيبُهُمْ، وَأَنَّ أَكْثَرَ فِتَنِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي التَّفْرِيقِ، وَتَسْلِيطِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ.

كَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَى ذِكْرِ صُورٍ مِنَ الْفِتَنِ، ثُمَّ آدَابِ التَّعَامُلِ مَعَ الْفِتَنِ، بِالْفَاظِ رَطْبَةٍ، وَعِبَارَاتٍ عَذْبَةٍ، وَمَعَانٍ وَاضِحَةٍ.

عَرَائِسُ لَفْظٍ حَكَى مَسْكَهَا
عَلَى الطَّرْسِ أَنْفَاسُ رِيحِ الصَّبَا
حَكَتْ فِي الْعُدُوبَةِ أَخْلَاقَ مَنْ
لَهُ أَهْدَيْتْ وَإِلَيْهَا صَبَا

* * *

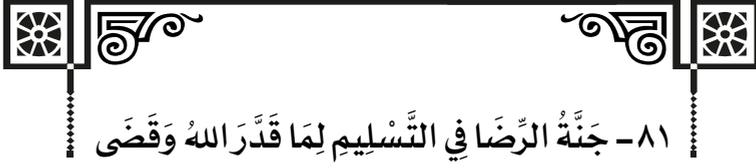
٨٠- فَنُ عَلَامَاتِ التَّرْقِيمِ

هَذَا الْفَنُّ هُوَ جُزْءٌ مِنْ عَلَامَاتِ الْإِمْلَاءِ الْعَرَبِيِّ، وَفَوَائِدُهُ فِي سَمَاءِ الْإِفَادَةِ أَقْمَارٌ
وَنُجُومٌ؛ إِنَّ ذَكَرْتَ الْكِتَابَةَ فَهُوَ سُوقٌ رَقِيقَهَا، أَوْ ذَكَرْتَ الْقِرَاءَةَ فَهُوَ سَفْحٌ عَقِيقَهَا.

وَأُخْبِرُكَ أَنِّي قُمْتُ بِعُصَارَتِهِ وَتَهْدِيهِ بِأَجْمَلِ لَفْظٍ، وَأَحْسَنِ عِبَارَةٍ؛ فَذَكَرْتُ
أَصْلَ هَذَا الْفَنِ وَأَهْمِيَّتَهُ، وَمَوْضِعَهُ مِنَ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ، وَأَكْثَرَتْ مِنَ الْأَمْثَلَةِ الْمُحَرَّرَةِ
الْمُمْتَعَةِ، وَأَوْدَعْتُهُ مَا شِئْتُ مِنْ كُلِّ شَاهِدٍ وَضَابِطٍ؛ لَيْسَهُلَ مَرَأْسُهُ، وَيَنْقَادُ زَمَامُهُ، مِنْ
غَيْرِ تَعَبٍ وَلَا إِمْسَاسٍ نَصَبٍ، فَذُونُكَ هَدِيَّةٌ ثَمِينَةٌ، وَمَحْمَلًا خَفِيفًا.

جَعَلْتُ هَدِيَّتِي لَكَ فِيهِ وَشَيْئًا وَخَيْرُ الْوَشْيِ مَا نَسَجَ اللِّسَانُ

* * *



٨١- جَنَّةُ الرِّضَا فِي التَّسْلِيمِ لِمَا قَدَّرَ اللَّهُ وَقَضَى

اشْتَمَلَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى ذِكْرِ الرِّضَا، تَعْرِيفِهِ، حُكْمِهِ، فَضْلِهِ، مَنْزِلَتِهِ، أَسْبَابِهِ، مَا يُضَادُّهُ، مَا يُنَافِيهِ، وَمَا لَا يُنَافِيهِ، وَجَاءَتِ الْخَاتِمَةُ بِذِكْرِ قُطُوفٍ مِنْ رِضَا رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ

مَعَ دُرِّ لَفْظٍ، كَخُودٍ رَمَتْ بِالسَّحْرِ عَنْ قَوْسٍ حَاجِبٍ، وَعُقُودٍ نَثْرٍ كَغَانِيَةٍ
مِعْطَارٍ أَعْجَبَتْ كُلَّ خَاطِبٍ.

فَفِي كُلِّ سَطْرٍ مِنْهُ وَشَيْءٌ مُنَمَّنٌ وَفِي كُلِّ فَضْلٍ مِنْهُ عِقْدٌ مَرَّصَعٌ

* * *

٨٢- مُرَاقِبَةُ اللَّهِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى ذِكْرِ مُرَاقِبَةِ اللَّهِ حَقِيقَتِهَا، أَسْبَابِهَا، مَجَالَاتِهَا،
ثَمَارِهَا، وَأُخْبِرَكَ أَنِّي زَيْتُنُهَا بِكَثِيرٍ مِنَ الدَّوَاعِي الدَّافِعَةِ بِقُوَّةٍ إِلَى قِرَائَتِهَا، وَفَهْمِهَا،
وَحَلِّيْهَا بِكَثِيرٍ مِنْ سَبِيلِ الْإِغْرَاءِ.

بِحُلَّةِ حَمْرَاءَ جَاءَتْ وَقَدْ تَفُوحُ بِالْعَنْبْرِ أَذْيَالُهَا
حَلِيَّتُهَا الْعُلُ وَيَأْفُوتُهُ صَيْغُ مِنَ الْعَسْجِدِ خَلْخَالُهَا

* * *

٨٣ - أُمَّةٌ فِي رَجُلٍ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى لَمَحَاتٍ مِنْ حَيَاةِ شَيْخِنَا وَوَالِدِنَا الْعَلَّامَةِ الْمُحَدَّثِ
مُقْبِلِ بْنِ هَادِي الْوَادِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَدْ كَانَ بِحَقِّ أُمَّةٍ فِي رَجُلٍ انْتَشَرَتْ دَعْوَتُهُ فِي أَصْقَاعِ
الْأَرْضِ، وَنَفَعَ اللَّهُ بِهِ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ، وَقَفَ شَيْخُهُ الْعَلَّامَةُ أَبُو بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ
آثَارِ دَعْوَتِهِ، فَقَالَ: «هَذِهِ ثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَارِ الصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ».

وَنَحْنُ نَحْسَبُ شَيْخَنَا كَذَلِكَ وَلَا يُزَكِّيهِ عَلَى اللَّهِ.

وَمِنْ بَابِ الْبِرِّ بِشَيْخِنَا رَحِمَهُ اللَّهُ كَتَبْتُ هَذِهِ الرَّسَالَةَ وَحَلَيْتُهَا بِوَاشِيِ الْحُلَلِ.
فَأَنْعِمُ بِهَا فِي الْبُعْدِ زَادَ مُسَافِرٍ وَأَحْسِنُ بِهَا فِي الْقُرْبِ تُحْفَةَ قَادِمٍ

* * *

٨٤- الرَّقَّةُ فِيمَا جَاءَ فِي الصَّدَقَةِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا فِي فَضْلِ الصَّدَقَةِ،
وَأَفْضَلِهَا، وَأَدَابِهَا، وَأَنْوَاعِهَا، وَأَفَاتِهَا، مَعَ قَبَسٍ مِنْ جُودِ النَّبِيِّ ﷺ وَصُورٍ مِنْ جُودِ
الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَلَمْ تَخُلْ صَفْحَةً مِنْ حَادٍ مُشَوِّقٍ، وَسَائِقٍ رَفِيقٍ.

شُكْرًا وَخَمْدًا إِنْ قَبِلْتَ هَدِيَّتِي وَجَعَلْتَ لِي فَضْلًا عَلَى الْأَقْرَانِ
وَالْبَحْرُ تَنْشَأُ مِنْهُ كُلُّ سَحَابَةٍ صَدَرَتْ وَيَقْبَلُ فَاضِلَ الْغُدْرَانِ

* * *

٨٥ - قِيَامُ اللَّيْلِ

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مَعَ الشَّرْحِ الْمُخْتَصَرِ فِي فَضْلِ قِيَامِ
 اللَّيْلِ، وَحُكْمِهِ، وَأَحْكَامِهِ، وَأَدَابِهِ، مَعَ قَبَسٍ مِنْ قِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَعَانٍ مُسْتَحْسَنَةٍ
 وَالْفَافِظِ سَهْلَةٍ، وَأُسْلُوبِ أَدَبِيٍّ وَمَا كُلُّ أُسْلُوبٍ يُوصَفُ بِالْأَدَبِ.
 وَمَا كُلُّ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ أَرِيحَةٌ وَمَا كُلُّ أَطْيَارِ الْفَلَائِ تَرْتَمُ

* * *

٨٦- أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ وَشِفَاؤُهَا

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ عَلَى أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَشِفَائِهَا، بِعِبَارَاتٍ مُخْتَصِرَةٍ تُمْكِّنُ
الْقَارِئَ مِنْ مَعْرِفَةِ الدَّاءِ وَالِدَوَاءِ، وَأُخْبِرَكَ أَنِّي تَحَرَّيْتُ اللَّفْظَ الرَّفِيقَ، وَالْعِبَارَاتِ
الْمُسَجِّمَةَ، وَالتَّجْدِيدَ وَالِإِتِّكَارَ.

دَوْحَهُ مَجْدٍ تَمِيدُ نَاضِرَةٌ لِمُحَسِّنَاتٍ بِحُسْنٍ تَجْدِيدِ
بِكُلِّ لَفْظٍ كَأَنَّهُ نَفْسٌ غَيْرُ مُمِلٍّ بِطُولٍ تَرْدِيدِ

* * *

فهرس الموضوعات

- ٦ المقدمة
- ٧ الرُّهُدُ والرَّقَائِقُ
- ٩ التوحيدُ سَبَبُ الأَمْنِ
- ١٠ أَرْهَدُ النَّاسِ فِي طَالِبِ العِلْمِ
- ١١ الفِئْهَةُ فِي الدِّينِ
- ١٢ حَفْظُ القُرْآنِ سَبَبُ الرِّفْعَةِ
- ١٣ هَجْرُ القُرْآنِ
- ١٥ الكِتَابُ نِعْمَ الصَّاحِبُ
- ١٦ الصَّلَاةُ سَبَبٌ عَظِيمٌ فِي تَفْرِيجِ الكُرُوبِ
- ١٧ الصَّلَاةُ مُسْتَرَاخُ العَابِدِينَ
- ١٨ الصَّلَاةُ قُرَّةُ العَيْنِ
- ١٩ الخُشُوعُ
- ٢٠ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ
- ٢١ الزَّكَاةُ
- ٢٢ الصَّدَقَةُ
- ٢٣ مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ

- ٢٥..... مَالُ الْمُؤْمِنِ مَا قَدَّمَ
- ٢٦..... ذِكْرُ اللَّهِ
- ٢٧..... الاستغفارُ
- ٢٨..... ذِكْرُ الدنِيا
- ٢٩..... نعمةُ العافيةِ
- ٣٠..... مُجاهدةُ النفسِ
- ٣١..... المُحاسبةُ
- ٣٢..... تزكيةُ النَّفسِ
- ٣٤..... مُراقبةُ اللَّهِ
- ٣٦..... وصايا لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ إِلَى الرجوعِ إِلَيْهِ
- ٣٨..... طريقُ الأنبياءِ
- ٣٩..... من أسبابِ التوفيقِ
- ٤٠..... الفرارُ من الفِتَنِ
- ٤٢..... اشترِ نَفْسَكَ من اللَّهِ
- ٤٣..... وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا
- ٤٤..... خواطرُ السُّوءِ
- ٤٥..... انظُرْ إِلَى مَنْ دُونَكَ فِي الدنِيا، أَوْ مَنْ فَوْقَكَ فِي الدِينِ
- ٤٦..... مراقبةُ اللَّهِ فِي وسائِلِ التواصُلِ
- ٤٧..... الزواجُ والأُسرةُ
- ٤٩..... المرأةُ الصالحةُ حَيْرَ مَتاعِ الدنِيا

- ٥١..... الزوجةُ الودودُ الولودُ
- ٥٢..... المبالغةُ في طلبِ ذاتِ الجمالِ
- ٥٤..... الزواجُ من الثانيةِ
- ٥٥..... عداوةُ الزوجاتِ والأولادِ
- ٥٦..... تعدُّدُ الزوجاتِ من أعظمِ النعمِ
- ٥٧..... وَصْفُ المرأةِ النساءِ لزوجها
- ٥٨..... الفراغُ العاطفيُّ بين الزوجين
- ٥٩..... صُورٌ من بيتِ النبوةِ
- ٦٠..... النساءُ العنيداتُ فاشلاتُ
- ٦١..... رَقْصُ المرأةِ لزوجها
- ٦٢..... الولدُ سرُّ أبيه
- ٦٣..... بشارَةُ لِكُلِّ أُمَّ وَأَبٍ
- ٦٤..... الدعاءُ على الأولادِ
- ٦٥..... تداخُلُ أَحَدِ الوالدينِ فيما يَخُصُّ الآخَرَ
- ٦٦..... التربيَةُ بالمدحِ
- ٦٧..... عداوةُ الأَقاربِ صَعْبَةٌ
- ٦٨..... الأخلاقُ والأدبُ
- ٦٩..... التَّبَسُّمُ
- ٧١..... التنادي بأحبِّ الأسماءِ
- ٧٢..... طيبُ الرائحةِ

- ٧٣..... حُسْنُ السَّمْتِ
- ٧٤..... القَوْلُ الحَسَنُ
- ٧٥..... الهَدِيَّةُ
- ٧٧..... الأَخْلَاقُ
- ٧٨..... الصَّبْرُ سَيِّدُ الأَخْلَاقِ
- ٨٠..... الحَيَاءُ
- ٨٢..... القِنَاعَةُ
- ٨٣..... التَّوَاضُعُ
- ٨٤..... الوَفَاءُ
- ٨٦..... الوَقَارُ
- ٨٨..... المَدَارَاةُ
- ٨٩..... التَّعَافُلُ
- ٩٠..... الرِّفْقُ
- ٩٢..... الهَيْبَةُ
- ٩٣..... حِفْظُ السِّرِّ
- ٩٤..... العِفَّةُ
- ٩٥..... حُسْنُ الاسْتِمَاعِ
- ٩٦..... قَبُولُ العُدْرِ
- ٩٧..... تَحْمُلُ كَلِمَاتِ أهْلِ الفَضْلِ
- ٩٨..... العَفْوُ

- ١٠٠ اعتذارُ الكريمِ مُعَجَّلٌ واللَّئيمِ مُطَّلٌ
- ١٠١ غَضُّ الصَّوْتِ
- ١٠٢ التَّائِي
- ١٠٣ سَلَامَةُ الصَّدْرِ
- ١٠٥ تَرَكُ اللَّبَاسِ تَوَاضِعًا
- ١٠٦ دَعْوَةٌ مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ إِلَى الرُّكُوبِ مَعَكَ
- ١٠٧ ذَمُّ النَّاسِ لَكَ
- ١٠٨ المِزَاحُ
- ١٠٩ العِزْمُ
- ١١٠ لَا تَنْقُلْ لِأَخِيكَ مَا يُوَلِّمُ نَفْسَهُ
- ١١١ الِاسْتِرْسَالُ مَعَ الْعَوَامِ
- ١١٢ الدِّفَاعُ عَنِ الْأَخِ فِي غَيْبَتِهِ
- ١١٣ لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي
- ١١٥ دَفْعُ التَّهْمَةِ عَنِ النَّفْسِ
- ١١٦ الشُّكْوَى لِلنَّاسِ
- ١١٧ الغَضَبُ جِمَاعُ الشَّرِّ
- ١١٨ الذُّلُّ
- ١١٩ الحَسَدُ
- ١٢٠ فَضُولُ الْكَلَامِ
- ١٢١ الشُّحُّ

- ١٢٢ سوء الظن
- ١٢٣ العنادُ
- ١٢٤ الغيبةُ الصَّفقةُ الخاسرةُ
- ١٢٥ العاقلُ من تأمَّل العواقبَ
- ١٢٦ لا تصاحبُ من لا يُحسِنُ صُحبةً والديهِ
- ١٢٧ دَعُ الشَّرَّ يَعْبُرُ
- ١٢٨ سلامةُ الذوقِ
- ١٢٩ النفوسُ الشريفةُ
- ١٣٠ الأدبُ فيما يُثقلُ عن الله
- ١٣٢ الإعراضُ عن الجاهلِين
- ١٣٣ الكفُّ عن أذى الناسِ
- ١٣٤ الأدبُ
- ١٣٥ سُكْرُ الوالدينِ
- ١٣٦ سُكْرُ الْمُحْسِنِ
- ١٣٩ متفرقاتُ
- ١٤١ الإِشاعةُ
- ١٤٣ أصحابُ الكَهْفِ^٥
- ١٤٤ العلاجُ بالمالِ
- ١٤٥ من فوائِدِ السَّفَرِ
- ١٤٦ السفهاءُ

- ١٤٧..... أَخْنَعُ السُّفَهَاءِ
- ١٤٨..... مَجَارَاةُ السُّفَهَاءِ
- ١٤٩..... الْاِسْتَفْرَاؤُ
- ١٥١..... الِهْمُّ
- ١٥٢..... الْغَمُّ
- ١٥٣..... الْحَزْنُ
- ١٥٤..... التَّوَتُّرُ
- ١٥٥..... الْقَلْقُ
- ١٥٦..... بُشْرَى الْمُؤْمِنِ
- ١٥٧..... مِنْ جَهْلٍ شَيْئًا عَادَاهُ
- ١٥٨..... الْجَزْلُ وَالرَّقِيقُ مِنَ الْأَلْفَاظِ
- ١٦٠..... الْفِرَاعُ
- ١٦١..... لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ
- ١٦٣..... حُبُّكَ الشَّيْءَ يَعْمِي وَيُصِمُّ
- ١٦٤..... وَقَرَّ نَفْسَكَ تُهَبُّ
- ١٦٥..... مَنْ دَخَلَ ظَفَارَ حَمَرٍ
- ١٦٦..... إِنَّ الْبُغَاثَ بَارِضِنَا يَسْتَسْرِرُ
- ١٦٧..... جَمَالَكَ
- ١٦٨..... فِي كُلِّ وَاِدٍ بَنُو سَعْدٍ^١
- ١٦٩..... حَدِيثٌ: «السَّعِيدُ مَنْ اتَّعَظَ بِغَيْرِهِ»

- ١٧٠ من أخلاق الكبار
- ١٧١ مجارة السفهاء
- ١٧٢ من أسباب تسلط الشيطان
- ١٧٣ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً
- ١٧٥ خواطر الكتب
- ١٧٧ ١ - كيف ننال محبة الله؟
- ١٧٨ ٢ - نزهة الأحاب شرح منظومة الآداب
- ١٧٩ ٣ - الصحيح من الأثر في خطب المنبر
- ١٨٠ ٤ - دفء المشاعر في الحياة الزوجية
- ١٨١ ٥ - هممة الملوك
- ١٨٢ ٦ - صناعة الرجال
- ١٨٣ ٧ - فن الحوار
- ١٨٤ ٨ - الابتلاء السنة الباقية
- ١٨٥ ٩ - الأخلاق بين الطبع والتطبع
- ١٨٦ ١٠ - من تصاحب؟
- ١٨٨ ١١ - واهم وقفات من واقع الحياة
- ١٨٩ ١٢ - دليلك إلى الفراسة
- ١٩٠ ١٣ - أسرار التوفيق
- ١٩١ ١٤ - العسل المصفي من سيرة المصطفى ﷺ
- ١٩٢ ١٥ - جفاف المشاعر

- ١٦- أَوْسَمَةُ الْمُجَاهِدِ ١٩٣
- ١٧- سُقْطَرَىٰ جَزِيرَةُ الْأَخْلَامِ: مَشَاهِدٌ، عَجَائِبٌ، غَرَائِبُ ١٩٤
- ١٨- صِنَاعَةُ الْكِتَابَةِ ١٩٥
- ١٩- تَعَالَ نَتُوبُ ١٩٦
- ٢٠- ظُلُمَاتُ الظُّلْمِ ١٩٧
- ٢١- مراعاة المشاعر ١٩٨
- ٢٢- حُسْنُ الْجَوَارِ خُلُقُ الْأَبْرَارِ ١٩٩
- ٢٣- كَيْفَ نَتَعَامَلُ مَعَ نَبْعِ الْحَنَانِ؟ ٢٠٠
- ٢٤- حَادِي الصَّدِيقِ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْعَتِيقِ ٢٠١
- ٢٥- جُرْحُ الْمَشَاعِرِ ٢٠٢
- ٢٦- حَبِيبَاتُ الْمُصْطَفَى ﷺ ٢٠٣
- ٢٧- صِنَاعَةُ الْحِفْظِ ٢٠٤
- ٢٨- أَوْسَمَةُ حَافِظِ الْقُرْآنِ ٢٠٥
- ٢٩- فَاهِمٌ مَفَاتِيحِ الْقُلُوبِ ٢٠٦
- ٣٠- مَقَالِيدُ السَّمَاءِ ٢٠٧
- ٣١- سَلَامَةُ الصَّدْرِ ٢٠٨
- ٣٢- تَرْبِيَةُ الْأَوْلَادِ ٢٠٩
- ٣٣- حِلْيَةُ التَّاجِرِ ٢١٠
- ٣٤- أَرْبَعُونَ حَدِيثًا فِي عَظَمَةِ اللَّهِ ٢١١
- ٣٥- شَرْحُ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا فِي عَظَمَةِ اللَّهِ ٢١٢

- ٢١٣ ٣٦- المَوعِظُ الدَّهَبِيُّ
- ٢١٤ ٣٧- تُحْفَةُ الخَطِيبِ
- ٢١٥ ٣٨- الفَرِيدُ فِي حُطَبِ التَّوْحِيدِ
- ٢١٦ ٣٩- البَصِيرَةُ فِي حُطَبِ السَّيْرَةِ
- ٢١٧ ٤٠- فِتْنَةُ النِّظَرِ
- ٢١٨ ٤١- مُنْتَقَى الأشْعَارِ
- ٢١٩ ٤٢- المُتَقَى مِنْ أمْثَالِ النُّبَلَاءِ
- ٢٢٠ ٤٣- مُنْتَقَى الفَوَائِدِ
- ٢٢١ ٤٤- الجَامِعُ فِي حُطَبِ الكَبَائِرِ
- ٢٢٢ ٤٥- صَيْدُ الخَوَاطِرِ
- ٢٢٣ ٤٦- السَّكِينَةُ الخُلُقُ المَفْقُودُ
- ٢٢٤ ٤٧- مَوعِظُ للنِّسَاءِ
- ٢٢٥ ٤٨- ثَلَاثُونَ دَرَسًا لِلصَّائِمِينَ
- ٢٢٦ ٤٩- رِسَالَةٌ أَحْوِيَّةٌ لِمَاذَا تَرَكْتُ دَعْوَةَ الإِخْوَانِ وَاتَّبَعْتُ المَنْهَجَ السَّلْفِيَّ؟
- ٢٢٧ ٥٠- الخِطَابُ البَلِيغُ فِي جَمَاعَةِ التَّبْلِيغِ
- ٢٢٨ ٥١- حِرْزُ المُسْلِمِ
- ٢٢٩ ٥٢- صَلَاةُ المُسْلِمِ
- ٢٣٠ ٥٣- فَوَائِدُ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ
- ٢٣١ ٥٤- طَرِيقُنَا لِلقُلُوبِ
- ٢٣٢ ٥٥- تَسْهِيلُ البَلَاغَةِ

- ٢٣٣ ٥٦- آدابُ الصَّيَافَةِ وِليهِ آدابُ الطَّعَامِ
- ٢٣٤ ٥٧- بِلْدَةُ طَيِّبَةٍ
- ٢٣٥ ٥٨- عَقِيدَةُ الْمُسْلِمِ
- ٢٣٦ ٥٩- تَهْذِيبُ الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ
- ٢٣٧ ٦٠- تَقْرِيبُ التُّحْفَةِ السَّنِيَّةِ
- ٢٣٨ ٦١- تَقْرِيبُ قَطْرِ النَّدى
- ٢٣٩ ٦٢- تَسْهِيلُ شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ
- ٢٤٠ ٦٣- ذَوْقِيَّاتٌ مَعًا لِيَتَرْتَقِ بِأَخْلَاقِنَا
- ٢٤١ ٦٤- الْاِعْتِدَارُ فَنٌّ وَذَوْقٌ
- ٢٤٢ ٦٥- أَعْدَبُ الْكَلَامِ فِي صِلَةِ الْأَرْحَامِ
- ٢٤٣ ٦٦- كَشَافُ الْكِبَائِرِ
- ٢٤٤ ٦٧- قَيْدُ الْخَوَاطِرِ
- ٢٤٥ ٦٨- أَحْسَنُ الْأَقْوَالِ
- ٢٤٦ ٦٩- مَلِكُ الْقُلُوبِ
- ٢٤٧ ٧٠- تَاجُ الْمُرُوءَةِ
- ٢٤٨ ٧١- التَّاجُ الْمَفْقُودُ
- ٢٤٩ ٧٢- مِنْ أَخْطَاءِ الصَّائِمِينَ
- ٢٥٠ ٧٣- الْكَنْزُ الْمَدْفُونُ فِي مُقَدِّمَةِ ابْنِ خَلْدُونِ
- ٢٥١ ٧٤- نِعْمَةُ الْأُخُوَّةِ
- ٢٥٢ ٧٥- الْمُنْتَقَى مِنْ صَحِيحِ الْأَحَادِيثِ الْقُدْسِيَّةِ

- ٢٥٣ ٧٦- شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى
- ٢٥٤ ٧٧- الطَّاهِرَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
- ٢٥٥ ٧٨- الصَّدِيقَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
- ٢٥٦ ٧٩- آدَابُ التَّعَامُلِ مَعَ الْفِتَنِ
- ٢٥٧ ٨٠- فَنُّ عِلَامَاتِ التَّرْقِيمِ
- ٢٥٨ ٨١- جَنَّةُ الرِّضَا فِي التَّسْلِيمِ لِمَا قَدَّرَ اللَّهُ وَقَضَى
- ٢٥٩ ٨٢- مُرَاقِبَةُ اللَّهِ
- ٢٦٠ ٨٣- أُمَّةٌ فِي رَجُلٍ
- ٢٦١ ٨٤- الرِّقَّةُ فِيمَا جَاءَ فِي الصَّدَقَةِ
- ٢٦٢ ٨٥- قِيَامُ اللَّيْلِ
- ٢٦٣ ٨٦- أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ وَشِفَاؤُهَا
- ٢٦٤ فهرس الموضوعات